البعث

بين

المتكلمين والفلاسفة

للدكتور

إبراهيم عبد الله الحصري

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بالكلية

تمهيد

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل وراء هذه الدار دارا أخرى يرى فيها المرء جزاء أعماله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بالْحُسْنى﴾ (١) .

واقتناع الإنسان بحياة بعد الموت وبعد فناء الجسد مسألة فى غاية الصعوبة على ضعفاء العقول إذ ليست بالأمر الهين عندهم إذ يشق عليهم أن يتصوروا رجعة الحياة بعد أن تفنى الأجساد لأن هذه القضية من القضايا التى لا يجزم بصحتها أو بطلانها عن طريق التخمين أو التجربة (٢) .

فالإنسان لا يملك أن يعرف الحقيقة كما هى إلا بعد الموت والذين سبقونا من الموتى لم يعد منهم أحد إلى حياتنا ليحدثنا عما هناك والعلم عاجز عن اقتحام تلك المنطقة الغيبية التى لا تزال خارج عن اختصاصه ولن يقدر على ذلك أبدا ، وكل ما يرجف به المرجفون من قول بالعدم المطلق بعد الموت لا يعدو أن يكون فى حساب العلم نفسه رجما بالظن (٣) .

وصدق الله إذ يقول ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ ونحيا وما يهلكنا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّون﴾ (٤) .

أما من يؤمن بالقرآن وأنه وحى من الله إلى رسوله الأعظم يؤمن بلا ريب

---

(١) سورة النجم الآية ٣١ .

(٢) القرآن وقضايا الإنسان د / عائشة عبد الرحمن ص ١٥٥ بتصرف ط دار العلم للملايين – بيروت ط١ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

أن لنا بعد الحياة الدنيا حياة أخرى خالدة يكون فيها الجزاء الأوفى على كل عمل يعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وتلك أمور بديهية لأصحاب العقول المستقيمة فلا تحتاج إلى دليل أو برهان بعد كتاب الله عز وجل فهو ملئ بالآيات القرآنية الدالة على البعث والحساب والله أعلم

الفصل الأول

حول مفهوم البعث والاستدلال عليه

المبحث الأول

حول مفهوم البعث

تعريف البعث : لغة :

البعث فى اللغة : إثارة الشئ وتوجيهه ، يقال بعثته فانبعث ، ويختلف البعث باختلاف ما علق به فبعثت البعير أثرته وسيرته ، وقوله تعالى ﴿ والْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ (١) أى يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة كما قال ﴿ يوم يبعثهم اللَّهُ جميعاً ﴾ (٢) .

فالبعث ضربان ـ بشرى كبعث البعير وبعث الإنسان فى حاجة

وإلهى وهو ضربان ، **أحدهما** : إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس وذلك يختص به تعالى ولم يقدر عليه أحد .

والثانى : إحياء الموتى وقد خص اللّه بعض أنبيائه كعيسى عليه السلام (٣)

البعث فى الاصطلاح

هو أن يبعث اللّه تعالى الموتى من قبورهم بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها (٤) أو هو إعادة الإنسان روحا وجسدا كما فى الدنيا وهذه الإعادة تكون بعد العدم التام وتختلف هذه النشأة عن النشأة الأولى (٥) .

---

(١) المفردات / للراغب الأصفهانى ص ٥٢ ـ الآية من سورة الأنعام رقم ٣٦ .
(٢) سورة المجادلة الآية ٦ .
(٣) نفس المرجع .
(٤) شرح العقاد النسفية ـ للتفتازانى ص ١١٤ ط دار إحياء الكتب العربية .
(٥) العقائد الإسلامية ـ السيد سابق ص ٢٦٩ .

وبعيدا عن الفلسفة الخيالة نجد أن البعث فى مجمله هو الإعادة للحياة الأولى بصورة أخرى تكون نتيجة للصورة الأولى ومحصلة لها إذ يبعث الله الخلائق جميعا ويحاسب المكلفين منهم على ما قدموا فى حياتهم الأولى إقامة للعدل ونفيا للبعث وفى بيان ذلك ما يدفع إلى تحسين النتيجة وختمها بطابع طيب يجعل الإنسان مقدما على ربه كالرجل الغريب يعود إلى أهله بعد طول غياب وقد أوسع القرآن المجال فى آياته وسوره لهذه القضية الكبرى التى كانت محل إنكار وجحود من المشركين ليقيم عليهم الحجة بالدليل تلو الدليل مع مغايرته ليتم الإقناع ويحصل اليقين .

فالبعث بمعناه الاصطلاحى كما يفهم من القرآن الكريم هو إحياء الله الموتى وإخراجهم من القبور يوم القيامة بعد إعادة خلق أجسادهم ، وإعادة الأرواح إلى الأجساد .

وهذا واضح من قول الله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ (١)

وواضح أيضا من قوله ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٢) .

وواضح من قوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣)

فالله فى هذه الأقوال السابقة وفى غيرها من آيات القرآن الكريم يخاطب

(١) سورة الحج الآيتان (٦ ، ٧) .
(٢) سورة يس الآيتان ٥١ ـ ٥٢ .
(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

العقل والفكر السليم ليعى ويدرك نفسه أولا : ـ فهى أقرب قريب منه وليسأل نفسه سؤالا ، هذه العظام البالية من أوجدها وخلقها ؟.

لا شك أن صاحب العقل السليم يجزم بأنه خالق فريد فى صفاته إذ قد فعل فعلا لا يمكن لأحد ما أن يفعله فضلا عن أن يدعيه .

ثم بعد هذا الجزم يرد على من قال : ـ ﴿ من يُحْيي الْعظام وهي رميم ﴾ (١) يرد الله تعالى ﴿ قُلْ يُحْييهَا الَّذي أنشَأَهَا أَوَّلَ مرَّةٍ وهُو بكل خلق عليم (٧٩) الَّذي جعل لَكُم مِّنَ الشَّجرِ الأَخْضرِ نارًا فإذا أنتم منْهُ تُوقدُون ﴾ (٢)

فهذه الآيات دليل واضح للإنسان على اختلاف فكره بأن الله قادر على بعث وإعادة وإحياء الموتى بدليل المشاهدة

الحكمة من البعث والجزاء

لقد أعطى القرآن الكريم قضية البعث اهتماما خاصا وعناية ملحوظة ، آيات تتحدث عن هذه القضية إجمالا كما فى سورة يس وغيرها من السور المكية وتفصيلا كما فى صدر سورة الحج وغيرها من السور وحكمة ذلك الاهتمام تبدو فيما يلى :

أولا : إن الإيمان بالبعث والجزاء هو القاعدة الصلبة والأساس القوى الذى يقوم عليه تحقيق خلافة الإنسان فى هذه الأرض .

وأن الاعتقاد بالحياة الأخرى هو أساس البناء الخلقى المعد للبشرية والمحقق لصلاحها وأمنها فى الدنيا .

" فهذه العقيدة أى عقيدة الإيمان بالبعث ، أهدى قائد للإنسان إلى المدينة الثانية المؤسسة على المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة وأشد ركنا لقوام

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .
(٢) سورة يس الآيتان ٧٩ ـ ٨٠ .

الهيئة الاجتماعية التى لا عماد لها إلا معرفة كل واحد حقه ، وحقوق غيره عليه والقيام على صراط العدل المستقيم وأنجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الأمم إذ لا عقد لها إلا مراعاة الصدق والخضوع لسلطان العدل فى الوقوف عند حدود المعاملات (١) .

" كما أن إنكار الحياة الأخرى هو منبع الشرور ورأس الفساد إذ من شأنه أن يطلق النفوس من قيد التأثم ويدفعها إلى أنواع العدوان من قتل وسلب وغير ذلك ويسهل لها الغدر والخيانة ويحملها على فعل كل خطيئة والوقوع فى كل رذيلة وينأى بالعقول عن كسب الكمال البشرى ويفقدها الرغبة فى كشف الحقائق وتعرف أسرار الطبيعة (٢) .

لهذا نلاحظ أن القرآن يربط بين الرزائل الخلقية وبين اليوم الآخر وذلك كما فى قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

كما نلاحظ : ـ أنه يربط بين الفضائل الخلقية والإيمان بالبعث كما فى قوله تعالى ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (٤)

ثانيا : إن الحياة الأخرى من الأمور الغيبة غير المألوفة ومن ثم يستبعدها

---

(١) الرد على الدهريين ـ جمال الدين الأفغانى ص ٣١ مكتبة الخانجى للطباعة والنشر ط ٢ سنة ط ٢ سنة ١٩٥٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٩ .

(٣) سورة المطففين الآية ١ ـ ٦ .

(٤) سورة الإنسان الآيات : ٧ ـ ١٠ .

من لم يتمكن الإيمان بالله فى قلبه ، أما من تمكن الإيمان فى قلبه فيؤمن بكمال الله وقدرته وعلمه وحكمته .

" فالحياة الأخرى تميز بين أقوياء الإيمان وبين ضعفاء الإيمان فالأول يعتمد فى تسليمه على قدرة الله وعلمه والآخر بإنكاره يستبعد قدرة الله تعالى وعلمه ، ولذا كان منكرو البعث والجزاء أكثر من الملحدين المنكرين للخالق سبحانه وتعالى فى جميع العصور (١) .

ثالثـــا : إن تصوير أهل الكتاب لليوم الآخر قد بلغ منتهى الفساد فتصويرهم لليوم الآخر بعيد كل البعد عن الحق الذى جاء به الرسل عليهم السلام فى شأن الحياة الأخرى .

" فالنصارى مثلا يعتمدون فيه على وجود يسوع المخلص الفادى الذى يفدى الناس بنفسه ويخلصهم من عقوبة الخطايا ، وكذلك اعتقادهم بأن المسيح هو الذى يحاسب الخلق يوم القيامة.

أما اليهود فتخلوا توراتهم من الحديث عن الجزاء الأخروى ، وعلى كل حال فإن عقيدة اليهود فى الله واليوم الأخر لا تقل فى فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى (٢) .

رابعا : إن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء ورسول الله إلى الناس كافة ومن ثم كان القرآن هو الكتاب السماوى الصالح لكل زمان ومكان والمصدق لما بين يديه من الكتب السماوية والمهيمن عليها فكان لابد أن يأتى فى قضية البعث بالقول الفصل ويفصل كل ما يتصل بها بحيث لا يبقى مجال لإنكار اليوم الآخر إلا من كابر وعاند وخرج على مقتضى العقل ، ولهذا السبب

(١) تفسير المنار ح ٣ ص ٥٣ ـ للأستاذ / محمد رشيد رضا بتصرف .
(٢) ألعقائد الإسلامية ـ الأستاذ سيد سابق ص ٢٦٥ بتصرف .

كان القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى عرض دعوى منكرى البعث وشبهاتهم بكل صورها ، ثم أبطل هذه الشبه وبرهن على وجوب البعث بصوره التى لم توجد فى كتاب سماوى آخر وهذا هو ما نتعرض لعرضه ونرد عليه أثناء الحديث حول الفصل الثانى من هذا الباب

هكذا نجد أن الإيمان بالغيب يجعل لحياتنا غاية سامية وهدفا أعلى وهذه الغاية هى فعل الخيرات وترك المنكرات والتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل الضارة بالأبدان والأديان والأعراض والعقول والأموال وكما هذا يحقق معنى الخلافة

((ولابد من تقوية النزاع النفسى الذى يرغب فى الخير ويصد عن الشر ولا يقوى النزاع إلا بكثرة التذكير والتفنن فى التصوير وضرب الأمثال المتنوعة التى تعمق جذوره فيقوى تأثيره ويحقق الغاية منه فيرجع المنكر عن إنكاره ويصحح المخطئ خطأه ويحدد كل إنسان هدفه الأعلى فلا يضل الطرق ولا تعثر به الخطا)) (١) .

---

(١) العقائد الإسلامية ـ السيد سابق ص ٢٦٥ .

المبحث الثانى

الاستدلال على البعث

تمهيد

لقد استخدم القرآن الكريم فى الاستدلال على قضية البعث اتجاهات شتى منها الاستدلال بخلق السموات والأرض ، ومنها الاستدلال بالنشأة الأولى ومنها الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها ومنها الاستدلال بدليل الرزق ومنها الاستدلال بدليل إخراج الضد من الضد وهكذا .

أما عن الاستدلال بخلق السموات والأرض فيقول الله تعالى ﴿ أوليس الَّذي خلق السَّمَوَات وَالأَرْضَ بقَادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق الْعليمُ ﴾ (١) .

وأما عن الاستدلال بخلق الإنسان فيقول الله تعالى ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقْنَاهُ من نُطْفَة فَإذَا هُوَ خَصيمٌ مُّبينٌ ﴾ (٢)

وأما عن الاستدلال بالنشأة الأولى فيقول الله تعالى ﴿ قُلْ يُحْييها الَّذي أَنشأَهَا أَوَّلَ مَرَّة وَهُوَ بكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ ﴾ (٣) .

وأما عن الاستدلال بدليل الرزق وإحياء الأرض بعد موتها فيقول الله تعالى ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وأخرجْنا منها حبا فمنه يأكلون (٣٣) وجعلْنَا فيهَا جنَّات مّن نَّخيل وأَعْنَاب وفجرْنا فيها من الْعيون (٣٤) ليأكلوا من ثَمَره ومَا عملَتْهُ أَيْديهمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة يس الآية ٨١ .

(٢) سورة يس الآية ٧٧ .

(٣) سورة يس الآية ٧٩ .

(٤) سورة يس الآيات : ٣٣ - ٣٥ .

وأما عن الاستدلال بدليل إخراج الضد من الضد فيقول الله تعالى ﴿ الَذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ﴾ (١) .

هكذا استدل القرآن على قضية البعث . هذا ونلاحظ أن هذه الأدلة تستعمل فى الرد على منكرى البعث على اختلاف اتجاهاتهم ونزعاتهم لاسيما وفيهم المفتونون باللجاجة والمراء ممن أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت كما يحكى ذلك القرآن الكريم عنهم .

وها أنا الآن أتعرض لهذه الأدلة من خلال أحدى السور المكية على سبيل المثال سورة يس ، هذه السورة الكريمة اتخذها منهجا عاما فى الاستدلال على قضية البعث لأنها من السور المكية التى تميزت عن غيرها من السور المكية الأخرى فى إثبات قضايا العقيدة مدعما هذه الأدلة بآيات أخرى من جملة السور التى تعرضت لقضية البعث .

الدليل الأول : ــ

دليل خلق السموات والأرض

قال تعالى ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ (٢)

إن دليل خلق السموات والأرض ذكر فى أكثر من آية فى القرآن الكريم فقد ذكره المولى سبحانه وتعالى فى مواضع كثيرة للاستدلال على إمكان البعث غير أنه تارة يوجه العقول إلى التفكير فى خلقها إجمالا كما فى قوله ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ (٣)

---

(١) سورة يس الآية ٨٠ .

(٢) سورة يس الآية ٨١ .

(٣) سورة يس الآية ٨١ .

وتارة يوجه إلى التفكير فى أحوالها وذلك كما فى قوله تعالى ﴿ أفلم يَنظُروا إلى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ... ﴾ (١) .

والأصل الذى يقوم عليه هذا الدليل هو أن خلق الإنسان أو إحياءه بعد الموت أيسر وأسهل وذلك حسب المقاييس البشرية .

وهو استدلال بالأعلى على الأدنى ، لأن خلق السموات والأرض من حيث العادة أعظم من إحياء الموتى وذلك هو ما أخبر به الله تعالى فى قرآنه قال تعالى ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ (٢) .

ولا شك أن الاستدلال بخلق السموات والأرض يدخل فيه ما بينهما من المخلوقات العجيبة فبالنسبة لخلق السموات يشمل ما فيها من الشمس والقمر والأجرام السماوية وغير ذلك وأما خلق الأرض فيشمل ما عليها أيضا من الجبال والأوتاد وغير ذلك من الآيات المعروفة لدينا وغير المعروفة ، كل ذلك من أعظم الأدلة الثابتة على إحياء الموتى وهذا هو ما أكده القرآن الكريم ، قال تعالى ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

فهذه صور متعددة لدليل الخلق والإيجاد وآيات تكشف لنا عن موضوع هذا الدليل ومن هنا نقول إن مناط الاستدلال ، هو قياس إمكان وجود الأقل والأصغر على خروج الأعظم والأكبر للوجود فالمستدل به هو وجود

---

(١) سورة ق الآية ٦ - ١١ .

(٢) سورة غافر الآية ٥٧ .

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

السموات والأرض يلزمه ضرورة إمكان وجود المستدل عليه وهو خلق الإنسان أو إحياؤه بعد الموت إذ كل عاقل يعلم بداهة أن من قدر على العظيم فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر فالذى أبدع السموات والأرض على حالهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على إحياء العظام وهى رميم وإعادة الإنسان بالنشأة الأخرى ليلقى على عمله ثوابا أو عقابا (١) .

وعلى ذلك فموقف الإجمال السابق فى سورة " يس " وغيرها من السور وموقف التفصيل كما فى سورة " ق " وغيرها من السور كل منهما قد بينت الأوجه التى يقصدها القرآن الكريم ، ولكن لعل الحكمة فى الإجمال يذهب العقل فى الآية كل مذهب ، ومهما يكن من شئ فإن القادر على إيجاد الضد تلو ضده فى المهد أو فى السبع الشداد قادر على إيراد الحياة بعد الموت فى هذه الأجساد

فلو تتبعنا آيات سورة " يس " لوجدنا أن الله تعالى بدأها بقوله ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) وهذا دليل جعله الله تعالى فى النفس . والنفس أقرب إلى الإنسان من كل شئ ثم ثنى بإخراج النار من الشجر الأخضر فقال تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا .... ﴾ (٣) لكونه أغرب وأدل فى الظاهر على إخراج الشئ من ضده وهذا أمر يكاد يكون لاحقا بالإنسان لانتقاعه به ثم ختم بخلق السموات والأرض للتعميم بعد التخصيص وللإشارة إلى أن ما فى الكون كله يدل النظر فى إبداعه على أن مبدعه قادر على البعث .

---

(١) مفاتيح الغيب جـ١ ح ١ ص ٢٣ م٤ ح ٧ ص ٤٧٥ بتصرف ط دار الفكر .
(٢) سورة يس الآية ٧٩ .
(٣) سورة يس الآية ٨٠ .

الدليل الثانى :

دليل خلق الإنسان

قـال تعـالـى : ﴿أوَ لَمْ يَرَ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ من نُطْفَةٍ فإذا هُوَ خصيمٌ مُبِينٌ﴾ (١) وهذا الدليل كما هو واضح أمام أعيننا مأخوذ من نشأة الإنسان الأولى ولا يخفى علينا أن الله عز وجل قد ذكر فيه أحوال الخلقة الإنسانية وهى أطوار سبعة وكل طور منها يقع عقيب الذى قبله ، ولا شك أن وجود أحد الأطوار السبعة بعد أن لم يكن إنما هو إيجاد للشئ من ضده حيث كان معدوما وأصبح موجودا .

والأطوار السبعة هى التراب ، والنطفة ، والعلقة ، والمضغة ثم إخراجه طفلا ثم بلوغه الأشد ثم التوفى أو الرد إلى أرذل العمر وهذه الأطوار السبعة كل واحد منها انتقال من حال إلى حال ، وهذا واضح فى قول الله تعالى ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إن كُنتُمْ في رَيْبٍ مِن الْبَعْثِ فإنَّا خلقناكم من تراب ثم من نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ من مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لكُم ونُقِرُّ في الأرحام ما نشَاءُ إلىٰ أجلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طفْلاً ثُمَّ لتبْلُغُوا أشُدَّكُمْ ومنكم من يتوفى ومنكُم مَّن يُرَدُّ إلَىٰ أرْذَلِ الْعُمُرِ لكَيْلا يَعْلم منْ بَعْد علْمٍ شيْئًا وترى الأرض هامدة فإذَا أنزَلْنا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ورَبَتْ وأَنْبَتَتْ من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٢) .

وللإمام الرازى فى هذه الآية والتى بعدها كلام طيب حيث يقول : اعلم أنه سبحانه لما حكى عنهم الجدال بغير العلم فى إثبات الحشر والنشر وزمهم عليه فهو سبحانه أورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين .

---

(١) سورة يس الآية ٧٧ .

(٢) سورة الحج الآية ٥ .

الوجه الأول : الاستدلال بخلق الحيوان أولا وهو موافق لما أجمله فى قوله تعالى ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقوله تعالى ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٢) .

فكأنه سبحانه وتعالى قال إن كنتم فى ريب مما وعدناكم من البعث فتذكروا خلقتكم الأولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أولا قادر على خلقكم ثانيا .

أما قوله لنبين لكم ففيه كلام وهو إن كنتم فى ريب من البعث فإنا أخبرناكم أنا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل عنكم الريب فى أمر بعثكم فإن القادر على هذه الأشياء كيف يكون عاجزا عن الإعادة ؟

الوجه الثانى : الاستدلال بحال خلقه النبات على ذلك وهو قوله ﴿ وترى الأرض هامدة ﴾ وهمودها يبسها وخلوها عن النبات والخضرة ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ أى تحركت بالنبات وانتفخت .

ولذلك قال الله تعالى بعد هذه الآية ﴿ **ذلك** بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير ﴾ والحق هو الموجود الثابت ، فكأنه سبحانه وتعالى بين أن هذه الوجوه دالة على وجود الصانع وحاصلها راجع إلى أن حدوث هذه الأعراض المتنافية وتواردها على الأجسام يدل على وجود الصانع وقوله ﴿ وأنه يحيى الموتى ﴾ تنبيه على أنه لما لم يستبعد من الإله إحياء هذه الأشياء فكيف يستبعد منه إعادة الأموات، ولذلك ختم الله الآية بقوله ﴿ وأنه على كل شئ قدير ﴾ أى أن من كان قادرا على هذه الممكنات وعلى جمعها فى جسد واحد فلابد وأن يكون قادرا على الإعادة .

---

(١) سورة يس الآية (٧٩) .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٥١ .

وختم الله الآيات بقوله ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْب فيها ﴾ وهذا تأكيد من الله تعالى لأنه لما قام الدليل على الإعادة نفسها ممكنة وأنه سبحانه قادر على كل الكلمات وجب القطع بكونه قادرا على الإعادة نفسها وإذا ثبت الإمكان والصادق أخبر عن وقوعه فلابد من القطع بوقوعه (١) .

ولو نظرنا إلى هذه الأطوار الموجودة فى الآية الكريمة وفى غيرها من الآيات لوجدنا أن كل طور منها يصلح أن يكون وحده دليلا على إمكان البعث .

ومن هنا نقول : إن عملية الخلق ، تلك العملية التى بلغت حد التناهى فى الإعجاز ومع ذلك فهى تتكرر كل يوم وكل ساعة بل وكل لحظة حتى أصبحت مألوفة للناس لا تستدعى انتباه أحد مع أننا لو نظرنا إلى حقيقتها لم نجد للإنسان دورا إلا أن يودع الرجل ما يمنى رحم امرأته ثم ينقطع عمل الاثنين معا ، وتأخذ يد القدرة الإلهية فى العمل وحدها فى هذا الماء المهين تشكله وتصوره وتنميه وتنقله من طور إلى طور ومن خلق إلى آخر وهكذا تتجلى قدرة الله تعالى .

ولنستمع إلى قوله تعالى وهو يؤكد هذا المعنى قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ .

ولذلك نقول : يكفى فى الاستدلال على إمكان البعث وثبوته أصل الخلق والتكوين على وجه الإجمال كما فى سورة يس وغيرها من السور وعلى وجه التفصيل كما فى سورة الحج ، وكما فى سورة الواقعة والتى قال الله تعالى

---

(١) مفاتيح الغيب ـ الرازى م ١٢ ح ٢٣ ص ٧ ـ ١١ بتصرف واختصار والآيات من سورة الحج ٥ ـ ٨

فيها ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وإذا كان الله تعالى قد قدر الموت وحكم به على كل البشر ، وهو ضد الحياة فتلك ولا شك القدرة الكاملة التى لا تعجز عن أى شئ مهما كان فالذى يقدر على خلق الأضداد ، لا شك فى كونه مختارا ، وإذا ثبت الاختيار مع القدرة فلا ينبغى أن يستبعد أى شئ مهما بدا بعيدا

يقول الإمام الرازى: إن الله تعالى قال ﴿ نحن خلقناكم ﴾ ثم قال ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت ﴾ فمن قدر على الإحياء والإماتة وهما ضدان ثبت كونه مختارا فيمكن الإحياء ثانيا بعد الإماتة بخلاف ما لو كان الإحياء منه ولم يكن له قدرة على الإماتة فيظن به أنه موجب لا مختار والموجب لا يقدر على كل شئ ممكن فقال نحن خلقناكم وقدرنا الموت بينكم فانظروا فيه واعلموا أنا قادرون أن ننشئكم (٢)

ويقول أبو السعود فى تفسيره ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت .... ﴾ أى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة (٣) .

وإذا كان الواقع لا يستطيع أن ينكره أحد فقد ثبت أن قدرة الله تناولت بالتكوين حلقة من حلقات الخلق ودورة من دوراته بالإنشاء والإماتة وثبت من ذلك هيمنة هذه القدرة على إيجاد آخر فى دورة لا تنتهى .

---

(١) سورة الواقعة الآية ٥٨ ـ ٦٢ .

(٢) مفاتيح الغيب ـ الرازى م ١٥ ج ٢٩ ص ١٧٧ .

(٣) تفسير أبو السعود ج ٥ ص ٢٦٤ نشر مكتبة الرياض الحديثة .

ولذلك نقول لمنكرى البعث متعجبين : كيف يسوغ فى منطق هؤلاء المنكرين أن يقروا بمنطق الواقع فى مرور تكوين الإنسان فى مسيرة الخلق بأغرب رحلة أحد طرفيها العدم والآخر الوجود وبينهما آيات من صنع الله غاية فى الروعة ، لا أدرى كيف يسوغ الإقرار بهذا إلى جانب الإقرار بالموت ثم يصعب على عقولهم أن تقبل النشأة الأخرى وهى لا ترقى فى العجب إلى مستوى النشأة الأولى .

لذلك نحكم عليهم فنقول : إن هؤلاء ممن ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، أما العقول المستقيمة فهى العقول التى سارت وفق المنطق السليم وعبرت عن قوة هذا الإقناع وعابت على من يغلق سمعه عن سماع الحق وراحت تنشر نور هذا الدين من عصر إلى عصر آخر ، سواء كان صاحب هذا العقل متكلما كما أشرنا أو فيلسوف كالفيلسوف الإسلامى الكندى .

يقول الأستاذ الدكتور أبو ريدة موضحا رأى الفيلسوف الكندى حول قول الله تعالى ، ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

يقول : فيه يبرز فيلسوفنا الأصول النظرية التى تتضمنها هذه الآيات من جهة ويستخرج النتائج التى تلزم عنها من جهة أخرى وهى وجود الشئ بعد كونه وتحلله السابقين ممكن بدليل مشاهدة وجوده بالفعل مرة لاسيما أن جمع المتفرق أسهل من إيجاده وإيداعه من عدم وإن كان لا يوجد لله شئ

(١) سورة يس الآية ٧٧ ـ ٧٩ .

هو أسهل وشئ هو أصعب إلا أن الدليل موجود فى الآيات فى كلمات قليلة ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (١)

أما عن رأى الكندى نفسه فيقول : فأى دليل فى العقول النيرة الصافية أبين وأوجز من أنه إذا كانت العظام لم تكن ثم كانت فممكن ، إذا بطلت بعد أن كانت وصارت رميما أن تكون أيضا فإن جمع المتفرق أسهل من صنعه أليس من إبداعه . أى من إيجاده بعد أن لم يكن فأما عند باريهم كواحد لا أشد ولا أضعف ، فإن القوة التى أبدعت ممكن أن تنشأ ما أدثرت وكونها بعد أن لم تكن موجود للحس فضلا عن العقل ، فإن السائل عن هذه المسألة الكافر بقدرة الله مقر أنه كان بعد أن لم يكن وعظمه لم يكن هو معدوم ، فعظمه كان اضطرارا بعد أن لم تكن ، فإعادتها وإحياؤها كذلك أيضا فإنها موجودة حية بعد أن لم تكن حية فممكن أيضا أن تصير حية بعد إذ هى لا حية (٢)

وصفوة القول أنه إذا كان المنكرون للبعث لا يعلمون النشأة التى كان من الممكن أن يكونوا عليها فقد علموا نشأتهم التى هم عليها فعلا أفلا يكون من هذا العلم ما يحدث لهم ذكرا بأن من بدأ أول خلق يعيده فيبعث فيهم طمأنينة إلى التسليم بالبعث بعد الموت .

وفى النهاية ننبه إلى أن مما يتصل بدليل الخلق والإيجاد على إمكان النشأة الأخرى ما جاء فى القرآن من خلق آدم وقصة بقرة بنى إسرائيل ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾ (٣)

---

(١) رسائل الكندى الفلسفية تحقيق د / محمد عبد الهادى أبو ريده ص ٦٥ ط دار الفكر العربى .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٣ .

(٣) سورة البقرة ص ٧٣ .

ومنها قصة إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الموتى﴾ (١)

ومنها قصة عزير ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ....﴾ (٢) .

ومنها قصة أصحاب الكهف ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حقٌ وأنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ (٢) .

وهكذا فدليل الخلق والإيجاد بصوره المتعددة يثبت إمكان البعث بناء على ثبوت الأصول السابقة وبالتالى تبطل الشبه المتعلقة بإنكار الخالق سبحانه وتعالى واستبعاد قدرته على حشر الأجساد بجمع المتفرق وإحياء العظام وهى رميم كما فى الآيات الواردة .

الدليل الثالث :

دليل إحياء الأرض بعد موتها

قال تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وأخرجنا منها حبا فمنه يَأْكُلُونَ﴾ (٣) .

إن الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها من أبرز الأساليب التى سلكها القرآن فى إثبات الحياة بعد الموت لأنه دليل حى يتجدد بين يدى الناس دائما ويشاهدونه ويلمسون فيه آثار قدرة الله تعالى .

يقول الإمام الرازى : وأما قوله تعالى ﴿وأخرجنا منها حبا﴾ فله فائدة بالنسبة إلى بيان إحياء الموتى وذلك لأنه لما أحيا الأرض وأخرج حبا كان

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٠ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩ .
(٣) سورة الكهف الآية ٢١ .
(٤) سورة يس الآية ٣٣ .

ذلك إحياء تاما لأن الأرض المخضرة التى لا تنبت الزرع ولا تخرج الحب دون ما تنبته فى الحياة ، فكأنه قال الذى أحيا الأرض إحياء كاملا منبتا للزرع يحى الموتى إحياء كاملا بحيث تدرك الأمور (١) .

هذا وقد جاء فى القرآن آيات كثيرة فى إقامة هذا البرهان دليلا على البعث والمعاد وهو من الأدلة التى أحتفى بها القرآن حيث أورده فى صورة بيانية رائعة تحمل العقول السليمة على القطع بإمكان البعث من بين تلك الأدلة قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

يقول صاحب المنار : إن مثل هذا الإخراج لأنواع النبات من الأرض الميتة بإحيائها بالماء يخرج الموتى من البشر وغيرهم ، فالقادر على هذا قادر على ذاك لعلكم تذكرون هذا الشبه فيزول استبعادكم للبعث الذى عبرتم عنه بقولكم ﴿ من يحى العظام وهى رميم ﴾ (٣) .

نقول لهؤلاء ، ما الفرق بين إخراج النبات من الحبة الضعيفة التى لا حول لها ولا قوة والتى تتوارى بين طيات الأرض وبين إخراج الأموات لتدب فيهم الحياة من جديد ؟ فالذى يقدر على الأولى يقدر على الثانية فلا فرق بين هذا وذاك .

إن القياس فى هذا الدليل يستقيم مع الفطرة المستقيمة فإخراج الزرع حياة له من العدم وإخراج الموتى كذلك نوع من الحياة بعد التحلل والفساد .

---

(١) مفاتيح الغيب م ١٣ ج ٢٥ ص ١١٦ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٧ .

(٣) تفسير المنار ج ٨ ص ٤٧٠ الأستاذ محمد رشيد رضا .

ولقد أصل القرآن هذا القياس ودعمه فى النفوس قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ (١) وقال ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (٢)

كل هذه الآيات تؤكد دليل الرزق وفى نهايتها يذكرنا الله عز وجل بأن إحياء الموتى يكون كإحياء الأرض بعد موتها فلا فرق بين هذا وذاك فالذى يقدر على هذا يقدر على ذاك ، ومن هنا نقول إن دليل البعث منتشر فى آيات كثيره وما ذكرناه ما كان إلا على سبيل المثال وننتقل إلى دليل آخر وأغرب من هذا الدليل ألا وهو دليل إخراج الضد من الضد .

الدليل الرابع :

دليل الرزق

وأمهد لهذا الدليل فأقول : إذا كانت عملية خلق الإنسان رغم ما يصاحبها من عجب يصعب على العقل تصور منتهاه ولا يرى البشر منها إلا النتيجة ، بشر سويا تام الخلقة بعد أن كانوا لا يرون على الطرف الآخر من هذه المرحلة إلا ماء مهينا ، إذا جاز ذلك فى عملية خلق الإنسان فإن الأمر فى إنبات البذر يختلف .

فهى عملية مشهورة ظاهرة وتجربة تجرى من أولها إلى أخرها بين أيدى الناس ويمكن ملاحظة الكثير من مراحلها ، فعندما تلامس بعض الحبوب

---

(١) سورة فاطر الآية (٩) .

(٢) سورة ق رقم الآية ٩ ـ ١١ .

شيئا من الماء تأخذ فى الإنبات إذا كانت الرطوبة مناسبة حتى ولو لم تختف تماما تحت التراب .

فالفرق بين هذه العملية وبين عملية الإنسان ، أنه من الممكن متابعة الأولى بل والكشف عنها فى آية مرحلة من مراحلها باستخراج الحبة أثناء إنباتها وملاحظة انشقاق مكانها عنها وانقسامها إلى جذور وساق ، أما الأخرى فلا يمكن ملاحظة ذلك .

أما عن دليل الرزق فى القرآن الكريم فهو قوله تعالى ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وجعلنا فيها جنات من نخيل وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

إن قدرة اللّه تعالى تتجلى فى إنبات الزرع وإخراج السنابل وامتلائها بالثمار ولم يستطع أحد أن يدعى لنفسه فعل ذلك .

فإذا أقر المنكرون للبعث بأن إخراج النبات من الأرض وهى لهم مظنة الفساد ، إذا أقروا بذلك كله فكيف ينكرون إخراجه الأموات من الأرض وإعادة الحياة إليهم .

الدليل الخامس :

دليل إخراج الضد من الضد

قال تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نارا فإذا أنتم منه تُوقِدُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة يس الآية ٣٣ ـ ٣٥ .

(٢) سورة يس الآية ٨٠ .

ووجه الاستدلال أن النار صاعدة بالطبع والشجرة هابطة وأيضا النار لطيفة والشجرة كثيفة ، والنار نورانية والشجرة ظلمانية والنار حارة يابسة والشجرة باردة رطبة .

فإذا أمسك الله تعالى فى داخل تلك الشجرة تلك الأجزاء النورانية النارية فقد جمع بقدرته بين هذه الأشياء المتنافرة ، فإذا لم يعجز عن ذلك فكيف يعجز عن تركيب الحيوانات وتأليفها (١) .

ونلاحظ أن : هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى ﴿ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ فبه تأييد للاستدلال بالقدرة والعلم على البعث بحجة أخرى وبدليل آخر وهذا الدليل الآخر قد يكون ردا على اعتراض مؤداه أن البدء - وهو النطفة - كان من حرارة ورطوبة والعودة من رطوبة ويبوسة ، وهى صفة التراب والعظام ، فلا يصح الاستدلال بذلك البدء على هذه الإعادة فجاء قوله تعالى ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾ مبطلا لهذا الاعتراض ودليلا آخر على إمكان البعث فى نفس الوقت إذ أخبر الله فى هذه الآية بإخراج هذا العنصر الذى هو النار فى غاية الحرارة واليبوسة من ضده وهو الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة فهو بذلك يخرج الضد من الضد ويخلقه منه ، والذى يخرج الشئ من ضده وهو الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة فهو بذلك يخرج الضد من الضد ويخلقه منه ، والذى يخرج الشئ من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها قادر على إحياء العظام وهى رميم (٢) .

---

(١) مفاتيح الغيب - الرازى م ١ ح ١ ص ٢٣١ .

(٢) موافقة صحيح المنقول لابن تيميه ح ١ ص ١٧ ط مطبعة السنة المحمدية بتصرف واختصار .

كما نلاحظ أن هذه الصورة من الاستدلال قد ذكرت فى آيات أخرى فى مجال الرد على منكرى البعث أيضا فالقرآن يفسر بعضه بعضا قال تعالى ﴿ أفرأيتم النار التي تورون ﴿٧١﴾ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ (١)

فالماء الذى يسرى فى الشجر واللون الأخضر الذى هو علامة الطراوة كل ذلك ضد لهب المحرق ، وليس مظنة لوجوده ، ومع ذلك فإن هذه الخضرة التى أبعد ما تكون عن النار هى التى تجعل الشجر صالحا لها وهى التى تساعده فى اختزان الطاقة والحرارة فيه .

يقول د. الكروانى . ومن يعرف أثر الخضرة فى نمو الشجر وفى بنائه الخشبى عن الأخضر وفى اختزانه ما فى ذلك الكيان من طاقة تبدو نارا عند الإستيقاد لا تجد صعوبة فى إدراك سر ترتيب النار على الخضرة (٢)

أنه الجمع بين النقائض والأضداد الذى لا يقدر عليه بشر ، وليس الإحياء بعد الموت إلا نوعا عاديا ميسورا من هذه الأفعال بالنسبة للقدرة الإلهية

يقول الكندى : ظهور الشئ من نقيضه كظهور النار من الشجر الأخضر ممكن ووقع تحت الحس وإذن يمكن أن تدب الحياة فى الجسد المتحلل الهامد مرة أخرى وذلك أيضا على أساس المبدأ الأكبر وهو أن الشئ ممكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل المبدع الحق هذا الدليل موجود فى قوله ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ (٣)

هذا ويمكن أن نستدل بطريقة أخرى وهى أن نقول لمنكرى البعث ما قولك فى إخراج الشعلة نفسها من العدم إلى الوجود كما فى الحرائق التلقائية التى لا يشعلها أحد .

---

(١) سورة الواقعة الآية ٧١ ـ ٧٢ .

(٢) نماذج من الإعجاز العلمى للقرآن ص ٧٠ د / أحمد عبد السلام الكروانى .

(٣) رسائل الكندى الفلسفية تحقيق د / أبو ريده ص ٥٦ والآية من سورة يس رقم ٨٠ .

هل هناك فرق بين إيجاد هذا من العدم وبين إحياء الموتى وإخراجهم من الموت إلى الحياة مرة أخرى ؟

فإذا كنتم تعترفون بالأول فالثانى أيسر وأسهل فهو أولى بالاعتراف

وطالما أن كلاً منهما يعتمد على قدرة الله تعالى وعمله فلا استبعاد هنا ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى يقصد من هذا الدليل أن يقرب البعيد بالقريب، بمعنى أن إخراج الشئ من ضده وإخراج ما هو مستحيل عقلا ومن اجتماع الضدين فى شئ واحد ذلك الأمر هو إقتداح النار من الشئ الأخضر هذا دليل قريب من الإنسان يشاهده كل يوم فى منزله وأمام عينه هذا الدليل القريب يقرب البعيد وهو إظهار قدرة الله على إيجاد الحياة بعد الموت وعلى أن للإنسان بعد موته حياة أخرى ومثلا آخر بعد المثل الأول (١)

ولذلك قال الله لرسوله يا محمد قل للكافر المنكر للبعث يحييها القادر العظيم الذى أنشأها أول مرة الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر لا يمتنع عليه فعل ما أراد ولا يعجز عن إحياء العظام التى بليت ورمت وإعادتها بشرا سويا وخلقا جديدا كما بدأها أول مرة فالذى أخرج هذه النار من هذه الأشجار التى تقطر الماء ومن المعروف أن الماء ضد النار ولا توجد معها فهو قادر على أن يعيد خلقه ويبعثه بعد موته .

ومن فى الآية الكريمة للابتداء أى الذى بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا ثم أعاده إلى أن صار حطبا يابسا توقد به النار كذلك هو فعال لما يريد قادر على ما يشاء ولا يمنعه شئ .

---

(١) تفسير سورة يسن د / على حسن العريض ص ٤٩٩ - ٥٠٠ نقلا من الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ط ١ ص ١٤٥ .

قال قتادة : في قوله ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا . . . ﴾

الذى خرج النار من هذا الشجر المورق لأجل مصالحكم قادر على إعادة خلقكم بعد الموت للحساب لأن قدرته شاملة كاملة لا يعجزها شئ فالذى جعل من الشجر الذى هو فى غاية الرطوبة نارا مع مضادة النار للرطوبة قادر على الإعادة (١) .

وهكذا يعرض القرآن على المنكرين للبعث مشاهد مألوفة محسوسة معروفة تطالع حواسهم فى كل لحظة وتواجه بديهتهم فى كل نظرة وتتصل بحياتهم ومعاشهم وتلمس شعورهم ووجدانهم وهو يوجههم إلى هذه المشاهدة يعرضها عليهم كأنها جديدة وأن مشاهدة الطبيعة لجديدة أبدا عند من ينظر إليها بحس مرهف وعين واعية وقلب غير متعصب وعقل سليم

وبعد فإن الناظر فى شبه المنكرين للبعث فى جميع الأديان يجدها على كثرتها لا تخرج عن واحدة من ثلاث .

١- إما أن تكون اتهاما لقدرة الله على البعث وإعادة الأجسام التى كانت فى الدنيا بعد تحللها وفنائها .

٢- وإما أن تكون اتهاما لعلمه تعالى بالأجزاء التى تحللت وظلت فى الأرض لاسيما إذا أكلتها سباع البر أو حتان البحر .

٣- وإما أن تكون اتهاما لحكمته فى البعث اعتقادا أنه لا فائدة فيه فلا داعى له (٢) .

---

(١) التصوير الفنى للقرآن - الأستاذ سيد قطب ص ١٨٩ بتصرف .

(٢) دراسات فى العقيدة الإسلامية والأخلاق د / محيى الدين الصافى ص ١٦٠ ط دار الطباعة المحمدية بتصرف بسيط .

ومن هنا نجد أن القرآن قد أفاض فى الرد على هذه الشبه بما يدحضها ويبطلها من أساسها وذلك بإيراد الأدلة على كمال قدرته تعالى وكمال حكمته .

فهذه نماذج لبعض الأساليب القرآنية فى إثبات البعث والمعاد فى سورة يس ثم لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن عن تلك الأساليب التى كانت ولا تزال من أجمع وأكمل وأتم الأساليب فى إثبات البعث والمعاد لما اشتملت عليه من الأدلة العقلية والمنطق السليم والعاطفة الصادقة ، واليقين الجازم بقدرة الله على كل شئ .

الفصل الثانى

قضية البعث بين الإمكان والاستحالة
عند المتكلمين والفلاسفة

الفصل الثانى

قضية البعث بين الإمكان والاستحالة عند المتكلمين والفلاسفة

اختلاف المذاهب حول البعث

لقد تعددت الأقوال حول قضية البعث واختلفت المذاهب فمنهم من قال : إن البعث للجسد فقط دون الروح ومنهم من قال البعث للروح فقط دون الجسد ومنهم من أنكر هذا وذاك ومنهم من أثبت البعث بالروح والجسد معا ومنهم من اختار التوقف فى هذه القضية .

وانتهت هذه المذاهب على خمسة أقوال ذكرها الإمام الايجى فى كتابه المواقف وغيره من المتكلمين كذلك ذكرها الفلاسفة وعلى رأسهم ابن سينا ونتعرض الآن لهذه الأقوال باختصار .

يقول الإمام الايجى : واعلم أن الأقوال الممكنة فى مسألة المعاد لا تزيد على خمسة .

الأول : ثبوت المعاد الجسمانى فقط وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة .

الثانى : ثبوت المعاد الروحانى فقط وهو قول الفلاسفة الإلهيين

الثالث : ثبوتهما معا وهو قول كثير من المحققين كالحليمى والغزالى والراغب وأبى زيد الدبوس ومعمر من قدماء المعتزلة، وجمهور من متأخرى الإمامية وكثير من الصوفية ، فإنهم قالوا : الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة وهى المكلف والمطيع والعاصى ، والمثاب والمعاقب والبدن يجرى منها مجرى الآلة ، والنفس باقية بعد فناء البدن فإذا أراد الله تعالى حشر الخلائق خلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق به ويتصرف فيه كما كان فى الدنيا .

الرابع : عدم ثبوت شئ منهما، وهذا قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين

الخامس : التوقف فى الأقسام وهو المنقول عن جالينوس فإنه قال : لم يتبين لى أن النفس هل هى المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل إعادتها ، أو هى جوهر باق بعد فساد البيئة فيمكن المعاد حينئذ (١) .

وقد ذكر الإمام الرازى والإمام سعد الدين التفتازانى نفس هذه الأقوال مع الاختلاف فى ترتيبها .

فالإمام الرازى قال : إن الأقوال الممكنة فى المسألة لا تزيد على خمسة :

أولا : وذكر المعاد الجسمانى والروحانى ثانيا وكلاهما معا ثالثا ، وبطلانهما معا رابعا والتوقف وهو المنقول عن جالينوس خامسا (٢)

أما الإمام سعد الدين فقال اختلف الناس فى المعاد ، فنفاه الطبيعيون وتوقف جالينوس وأثبته الحكماء والمسلمون ، إلا أنه عند الحكماء روحانى وعند المتكلمين جسمانى وعند المحققين روحانى وجسمانى معا (٣) .

كذلك تعرض لهذه الآراء المختلفة فى أمر المعاد الفلاسفة وعلى رأسهم ابن سينا حيث قال العالم فى المعاد على طبقتين .

طبقة : وهم الأقلون عددا والأصغرون بصيرة منكرون له .

وطبقة : وهى السواد الأعظم ، والأصغرون معرفة وبصيرة مقرون به .

وبعد ذلك فهم فرق ، ففرقة تجعل المعاد للأبدان وحدها وفرقة تجعله للنفوس وحدها ، وفرقة تجعله للنفوس والأبدان جميعا .

---

(١) شرح المواقف ـ للإمام الايجى / الموقف السادس ص ٢٢٨ ط الطباعة العاشرة س ١٣١١ هـ

(٢) الأربعين فى أصول الدين ـ الرازى ج ٢ ص ٥٥ بتصرف واختصار ط مكتبة الكليات الأزهرية

(٣) شرح المقاصد ـ التفتازانى ج ٥ ص ٨٨ باختصار وتصرف .

فالقائلون بالمعاد للأبدان وحدها : هم فرقة من أهل الجدل من العرب يقولون : إن البدن وحده هو الحيوان وهو الإنسان بحياة وإنسانية خلقت فيه : وهما عرضان والموت هو عدمهما فيه أو ضد لهما .

وفى النشأة الثانية يخلق فى ذلك البدن حياة وإنسانية بعد ما رم وتفتت ويصير ذلك الإنسان بعينه حيا .

وأما القائلون بالمعاد للنفس والبدن : فكلهم يجعلون الحياة بوجود النفس للبدن والموت بمفارقة النفس للبدن ويردون فى النشأة الثانية النفس فى البدن بعينه الذى كانت فيه ، فجاعل النفس روحانيا غير جسم وجاعل النفس جسما ألطف من سائر الأجسام .

ويقولون : إن النفس إذا ردت إلى البدن كان للمثاب والمعاقب جميع ثواب وعقوبة بحسب البدن والنفس جميعا (١)

وأما القائلون بالمعاد للنفس ففرق

فرقة : مع ذلك قائلة بتجسيم النفس

وفرقة : تعتقدها جوهرا نورانيا من عالم النور مخالطا للبدن الذى هو الجوهر المظلم من عالم الظلمة وهؤلاء هم المجوس والثنوية والمانوية ومن ذهب مذهبهم .

وفرقة : ترى ذلك لها بالكرور فى الأبدان وهم أهل التناسخ

وفرقة : ترى ذلك لها بالاحتباس فى العالم العنصرى والانقلاب عنه .

وفرقة : ترى ذلك لها باستكمالها لجوهرها وخلوصها عن تمكن ... الطبيعة فيها وهم الحكماء الفاضلون (٢) .

---

(١) رسالة أضحويه فى آخر المعاد لابن سينا د / سليما دنيا ص ٣٨ ط دار الفكر العربى ط ١ س ١٣٣٦ هـ ـ ١٩٤٩م .

(٢) المرجع السابق ص ٤٠ ـ ٤١ بتصرف واختصار وراجع فى ذلك الأربعين للإمام الرازى ج ٢ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

تلك هى خلاصة الأقوال التى ذكرها المتكلمون والفلاسفة وكشفوا لنا فيها عن مختلف الآراء حول مسألة معاد الإنسان ومصيره .

وفى الصفحات التالية نتحدث عن هذه الآراء والاتجاهات فيما يأتى :

الاتجاه الأول : هو الاتجاه المادى الذى ينكر المعاد أصلا .

الاتجاه الثانى : هو الاتجاه الفلسفى وهو الذى ينكر المعاد الجسمانى وإن كان يقول بالمعاد الروحانى .

الاتجاه الثالث : هو الذى يقول بالمعاد الجسمانى والروحانى معا .

الاتجاه الرابع : وهو الذى يقول بالتوقف .

نتعرض فى الصفحات التالية لهذه الاتجاهات فنناقش ما يستحق المناقشة ونثبت ما يستحق الإثبات ونوضح ما يستحق التوضيح .

الاتجاه الأول : هو الاتجاه المادى

وهذا الاتجاه ينكر المعاد أصلا .

وأمهد للحديث عن هذا الاتجاه فأقول : ما من شئ فى دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام استبعده الناس واستغربوه أكثر من استبعادهم واستغرابهم لقضية الإيمان باليوم الآخر فترى أجيال الكافرين جيلا بعد جيل مصرة على هذا الإنكار .

وقد سجل القرآن الكريم ما أثير من جدل فى البعث فتلا علينا شبهات الذين أنكروه وحرص على أن يرد تلك الشبهات بالمنطق الذى تطمئن إليه الإنسانية دون أن تحتاج فيه إلى أكثر مما تهيأ لها من إلهام الفطرة وهدى البصيرة ووسائل التأمل والنظر لكيلا يكون الاطمئنان وقفا على زمان بعينه أو مرتبطا بظروف وأحوال خاصة لا تتاح لكل إنسان (١) .

---

(١) القرآن وقضايا الإنسان د / عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ - ص ١٥٦ ط دار العلم للملايين بيروت .

فالقرآن لما عرض على الناس عقيدة الحياة الآخرة ودعاهم إلى الإيمان بها ما كان حجة منكريها فى ذلك الزمان إلا عين حجة منكريها فى زماننا الحاضر .

والدارس للآيات القرآنية التى تأتى ردا على هؤلاء المنكرين يرى أن إنكار البعث والشك فى أمره يرجع فى ذهن المنكر أو الشاك إلى أحد أمور .

١ ـ مخالفته لما ألف من السنن حيث لم يعهد الأحياء أن ميتا بعث وعادت إليه الحياة كرة أخرى حتى يمكن قياس الغائب على الشاهد

٢ ـ استبعاده واستعظام أمره فإن عود الأجسام بعد تفرقها وتحللها وفسادها وفنائها فى الأرض واختلاط موادها بالتراب ثم تحولها مرة أخرى إلى جنسه أمر تستبعده العقول .

٣ ـ كونه أمرا لا تدعوا إليه حاجة البشر ولا تقضى به حكمة الحكيم .

٤ ـ العناد فى أمره والإصرار على تكذيب الدعوة فيه بعد تبين الحجة وقيام البرهان .

ونعرض أولا للنصوص الدالة على إنكارهم للبعث ثم بعد ذلك نعرض للشبه التى تمسكوا بها .

المذهب المادى وحديثه حول مصير الإنسان

يرى الماديون : ـ أنه لا معاد للإنسان أصلا فليس هناك حياة بعد هذه الحياة الدنيا فالموت هو نهاية الإنسان إذ هو عدم محض فيرجع الإنسان بعد موته إلى العدم كما كان قبل وجوده (١) .

وواضح من هذا النص أنهم ينكرون اليوم الآخر بما فيه من بعث وجزاء وعقاب .

---

(١) رسالة أضحوية فى أمر المعاد ـ لابن سينا ص ٣٨ .

وبهذا قال الفلاسفة الماديون قديما وحديثا .

فالإنسان عند القدماء منهم هو كما قال الإمام سعد الدين التفتازاني : هذا الهيكل المحسوس الذى يفنى بصورته وأعراضه (١) .

وقال أيضا :الفلاسفة الطبيعيون لا يعتد بهم فى هذه المسألة حيث قالوا : إنه لا معاد للبشر أصلا زعما أن هذا الهيكل المحسوس بما له من المزاج والقوى الأعراض وأن ذلك يفنى بالموت وزوال الحياة ولا يبقى إلا المواد العنصرية المتفرقة وأنه لا إعادة للمعدوم (٢) .

وهؤلاء القدماء ينكرون المبدأ والمعاد فهم كافرون بالله واليوم الآخر ويقولون إن الموجود هو المحسوس وأن ما لا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال (٣) ويرجعون وجودهم فى الدنيا إما إلى الطبيعة أو المصادفة أو فرضية النشوء والارتقاء أو غير ذلك من الافتراضات ومنهم الدهرية (٤) وموقف هؤلاء من المعاد تحدده الآية الكريمة ﴿وقَالُوا ما هي إلاَّ حياتُنا الدنيا نَمُوتُ ونحْيَا وما يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ﴾ (٥) .

أما التفسير المادى للإنسان عند المحدثين ، فهو يقوم على أن الإنسان بجميع مكوناته مادى طبيعى مكتسب من الطبيعة وليس فى تركيبه شئ من المواد والقوى متصلا بعالم الروح والغيب ومن العبارات التى يعبرون بها عن مذهبهم هذا قولهم الإنسان آله الفكر بالإضافة إلى الدماغ ، كالصفراء بالإضافة إلى الكبد (٦) .

---

(١) شرح المقاصد ج ٥ ص ٨٨ علم الكتب - بيروت .

(٢) نفس المرجع ج ٥ ص ٨٩ .

(٣) الإنسان كم يصور القرآن د / صلاح عبد العليم ص ٣٧١ نقلا من كتاب الإشارات لابن سينا .

(٤) قضايا عقدية د / محمد الأنور ص ١٤٩ بدون طبع .

(٥) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

(٦) الإنسان كما يصوره القرآن د / صلاح عبد العليم ص ٣٧١ .

وهؤلاء المحدثون يؤمنون بوجود الخالق سبحانه وتعالى لما وقفوا عليه مما فى الطبيعة والكون من آيات ناطقة بوجوده شاهدة بحكمته (١) . وبخاصة فى عالم الحيوانات والنباتات (٢) . ولكنهم ينكرون اليوم الآخر ويكفرون بالبعث والجزاء لما توهموه من أن الخاصة الإنسانية مادة أو أثر من آثار المادة فمآل الإنسان الفناء والعدم فلا عودة له ولا رجوع إلى حياة أخرى (٣)

وقد ذكر الإمام الغزالى الفريقين ـ أى الماديين القدماء والمحدثين ووصفهم بأنهم زنادقة ، وسمى الفريق الأول بالدهريين والفريق الثانى بالطبيعيين (٤)

ومن هنا نقول : إن إنكار المذهب المادى للمعاد واعتبار الموت هو نهاية المطاف يقوم على أساسين فى الفلسفة المادية .

الأول : إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى وذلك عند أنصار المادية المطلقة الذين يرون أنه لا موجود إلا المحسوس وينكرون كل ما هو وراء المادة .

الثانى : إنكار الروح الإنسانية واعتبار الطبيعة الإنسانية بكل مكوناتها مادة صرفة حتى إنهم اعتبروا أخص خصائص النفس الإنسانية ـ وظيفة من وظائف المخ وعملا من أعمال المادة لا يخرج فى نظرهم عن نطاق المادة وآثارها فالتفكير بالنسبة للمخ كالصفراء بالنسبة للكبد كما ذكرنا (٥) .

وهذا الإنكار قاسم مشترك بين الماديين المنكرين للخالق تعالى وبين

---

(١) نفس المرجع والصفحة .
(٢) قضايا عقدية د / الأنور ص ١٥٠ .
(٣) المنقذ من الضلال ـ الغزالى ص ١٤٠ .
(٤) المنقذ من الضلال ـ الغزالى ـ الغزالى ص ١٤٠ .
(٥) راجع الإنسان كما يصوره القرآن د / صلاح عبد العليم .

الطبيعيين الذين يقرون بالخالق وينكرون البعث والجزاء بناء على إنكار الجانب الروحى فى الإنسان وكلا الفريقين لا يؤمن بالأديان السماوية وقد أجمعت كلها على الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب .

رد القرآن الكريم عليهم :

ومما نلاحظ : أن القرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية والمنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين قد رد على الفريقين من الدهريين المنكرين للخالق والمعاد والطبيعيين المنكرين للمعاد فقط.

فأشار إلى الفريق الأول فى قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموتُ ونحيَا وما يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهْرُ ﴾ (١) .

وأشار إلى الفريق الثانى فى قوله تعالى ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميمٌ ﴾ (٢) .

هذا وقد حكى القرآن الكريم دعواهم فى إنكار البعث فى أساليب متعددة فتارة يخبر بها مجردة عن التأكيد كما فى قوله : ﴿ زَعَمَ الَّذين كفروا أن لن يبعثوا قُلْ بلى وربِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بما عَمِلْتُمْ وذَلكَ على الله يسيرٌ ﴾ (٣) .

وتارة يحكيها مؤكدة مثل قوله تعالى : ﴿ وأَقْسَمُوا بالله جهد أيمانهم لا يبعثُ اللهُ من يمُوتُ بلَى وَعْداً عليْه حَقًّا ولَكنَّ أكْثَرَ النَّاس لا يعْلمُون ﴾ (٤) .

ويبلغ التأكيد ذروته حيث يتخذ المنكرون من أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعقيدة البعث شاهدا وقرينة يستندون إليها فى تكذيبهم للأنبياء واتهامهم بالجنون والسحر .

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

(٢) سورة يس الآية ٧٨ .

(٣) سورة التغابن الآية ٧ .

(٤) سورة النحل الآية ٣٨ .

قال تعالى حكاية عمن أنكر البعث من قوم هود ﴿ وقال الملأ من قومه الَّذين كفروا وكذَّبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلاَّ بشر مثلكم يأكل ممَّا تأكلون منه ويشرب ممَّا تشربون (٣٣) ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنَّكم إذًا لَخاسرون (٣٤) أيعدكم أنَّكم إذا متُّم وكنتم ترابًا وعظاما أنَّكم مُخرجون (٣٥) هيهات هيهات لما توعدون (٣٦) إن هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ (١) . .

ثم يرد على من يقول بالتنافى والتضاد بين صفة العظام وهى رميم من اليبس والجفاف وبين الندوة والرطوبة فيقول : ﴿ الَّذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ (٢) .

ويرد على من يقول بتحليل أجزاء الأجساد وضلالها فى الأرض فيقول : ﴿ وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون ﴾ (٣) .

ويرد على عدم مشاهدتهم لعودة الأموات وحياتهم بعد الموت فيقول ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بيِّنات مَّا كان حجَّتهم إلاَّ أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (٢٥) قل اللَّه يحييكم ثمَّ يميتكم ثمَّ يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون ﴾ (٤)

ويرد على من يطلب التحديد الزمنى لقيام الساعة فيقول : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٣٨) ﴾ (٥)

---

(١) سورة المؤمنون الآيات : ٣٣ ـ ٣٧ .
(٢) سورة يس الآية : ٨١ .
(٣) سورة السجدة الآية ١٠ .
(٤) سورة الجاثية الآية ٢٥ ـ ٢٦ .
(٥) سورة الأنبياء الآيات : ٣٨ .

ويرد على الذين يستبعدون ذلك ويستعظمون أمره فيقول : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

ويرد على الذين يزعمون أنه أمر لا تدعو إليه حاجة ولا تقضى منه حكمة فيقول ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (٢)

وبعد فإن هذا قليل من كثير مما فى القرآن من قضية البعث واليوم الآخر ولو أردنا أن نجمع ما ذكره القرآن فى هذا الشأن مع استيعاب نواحيه المختلفة لأخرجنا من ذلك بحثا عظيما .

فأكتفى بهذه الإشارة الموجزة عن رد القرآن على هؤلاء المنكرين للبعث والآن ننتقل إلى شبههم لنعرضها ونرد عليها .

شبه المنكرين للبعث :

لو نظرنا إلى ما ذكره أصحاب الفلسفة المادية من شبه فى إنكار المعاد لوجدنا أنها رغم ما اتسمت به من المنطق الجدلى الفلسفى لا تخرج عن هذا النطاق الذى حدده القرآن الكريم من خلال ما ذكره منكرو المعاد من العرب - أعنى نطاق الظن والاستبعاد المجرد عن البرهان النقلى أو العقلى - فهى إذن لا تختلف عن تلك الشبه القديمة إلا بالصياغة الفلسفية ، وبيان ذلك أن شبه الماديين فى إنكار البعث كما أشرنا إليها هى كما يلى :

---

(١) سورة الروم الآية ٢٧ .
(٢) سورة النجم رقم ٣١ .

الشبهة الأولى :

هى شبهة اختلاط الأجساد الآدمية بحيث تكون مادة واحدة مشتركة بين أكثر من إنسان فيستحيل حشرها معا .

الجواب :

هذه الشبهة لا تخرج فى مضمونها عما حكاه القرآن عن منكرى البعث فى قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) وفى قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٢)

وفى قوله : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... ﴾ (٣) .

وهذه الشبهة قد أخذها الماديون عن الفلاسفة المنكرين لحشر الأجساد وسنعرضها بالتفصيل فى مكانها إلا أننا نجيب إجابة مختصرة فنقول : فلعل الله يحفظ الأجزاء الأصلية من أن تصير جزءًا لبدن آخر فضلا عن أن تصير جزءًا أصليا .

الشبهة الثانية :

وهى الشبهة المادية فى إنكار معاد النفس ، وحاصلها أنه لا نفس فى الإنسان فلا حاجة لافتراضها سواء كانت كلية أو جزئية والفكر وظيفة المخ

---

(١) سورة يس الآيات : ٧٨ - ٨١ .
(٢) سورة السجدة الآية ١٠ .
(٣) سورة الإسراء الآيتان ٥٠ - ٥١ .

كما أن تذوق وظيفة اللسان فنفس الإنسان كنفس الحيوان عمل من أعمال المادة على حد عمل الهضم فى المعدة والأزهار فى النبات ، فالتنفس حالة من القوة المتصلة بالمادة كما أن الدماغ حالة من المادة المتصلة بالقوة ، وعلى ذلك فالجسد والدماغ ينعدمان بالموت ويفنيان وبذلك ينتهى كل شئ للإنسان وتنتهى سيرته فى الوجود فليست هناك حياة أخرى فلا بعث ولا نشور (١) .

ويستند الماديون فى إنكار الروح إلى أن عمليات التشريح التى أجريت فى جسد الإنسان لم تثبت وجود الروح وحيث لم يثبت وجودها بالدليل حسى فهى غير موجودة ، وما يدعيه الإعتقاديون من أن التفكير يثبت وجود الروح تنفيه التجربة إذ أثبتت أن التفكير وظيفة المخ ، وذلك حيث ثبت بالأبحاث لعلمية الارتباط بين درجة التفكير وتكوين المخ من حيث حجمه كما فى الإنسان مع الحيوان وكما فى أفراد الإنسان بعضهم مع بعض إذ يرى الأطباء أن الجنون والبلادة نتيجة لفساد المخ أو تشوهه . أو من حيث السن كما فى حالتى الطفولة والبلوغ إذ ينضج تفكير الإنسان فى الحالة الأخيرة بالنسبة للأولى تبعا للوضوح فى اللفائف المخية فى حالة البلوغ وعدم وضوحه فى حالة الطفولة (٢) .

والجواب :

والجواب على هذه الشبهة هو نفس جواب القرآن على أسلافهم من منكرى البعث ، فإن إنكار الحياة الأخرى بناء على دعواهم أن لا نفس فى

---

(١) تاريخ الفلسفة حديثة - يوسف كرم ص ١٥٥ بتصرف ط دار المعارف .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣٢٣ .

الإنسان وأن الفكر وظيفة المخ هو أيضا مجرد ظن لأنها دعوى بدون دليل قال تعالى ﴿ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (١).

ولإثبات ظنية هذه الشبهة التى تمسك بها الماديون فى إنكار البعث لنا معهم موقفين :

الأول : إبطال دعواهم بالنقض والمعارضة .

الثانى : تسليمها وبيان أنها لا تصلح مع الإيمان بالخالق تعالى أساسا لإنكار البعث .

الأول :

نقول فى النقض إن دعواهم أن لا نفس فى الإنسان بناء على التجربة العلمية وعمليات التشريح دعوى باطلة ، ذلك لأن المادة وحدها هى التى تخضع للتجربة العملية ومن ثم فالروح بطبيعتها لا تخضع للتجربة وبالتالى فلا يتأتى لعالم أن ينكر وجود النفس بناء على التجربة العملية لأن عدم إدراك الشئ لا يدل على عدم وجوده (٢) .

وأما دعوى الماديين أن التفكير وظيفة المخ فنقول ردا عليهم إن الارتباط المذكور فضلا عن أنه لا يدل على أن التفكير عمل المخ إذ يكفى فى تحقيق أن يكون آلة النفس فى التفكير أو شرطا فيه وهو الحق منقوض بما يشاهده من قوة التفكير ونضجه مع ضعف الجسم وخاصة فى حالة الكبر (٣) .

وفى هذا الصدد يقول ابن سينا فى رسالته الأضحوية .

لو كانت النفس الناطقة قائمة فى المادة لكانت تضعف المادة ضرورة

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

(٢) الإنسان بين المادية والإسلام - محمد قطب ص ٥٦ وما بعدها .

(٣) الإنسان كما يصوره القرآن - د / صلاح عبد العليم ص ٣٩٦ .

وكانت الشيخوخة فى جميع الأحوال توهن القوة النطقية كما توهن القوة الحسية والحركة القائمة فى المادة ، لكنه فى كثير من المشايخ بل فى أكثرهم ، إنما يستبين القوة العقلية عند ضعف البدن أربعين وهو منتهى قوة البدن ولا سيما عند الستين وقد أخذ البدن فى الضعف (١) .

هذا فى النقض أما فى المعارضة

نقول فى المعارضة : إن النفس ثابتة بالنقل والعقل والتجربة العلمية

أما ثبوتها بالنقل فلقد أشار القرآن إليها أثناء حديثه عن خالق آدم عليه السلام قال تعالى فى شأن آدم ﴿ فإذا سوَّيتُهُ ونفختُ فيه من روحي ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين (٧) ثُمَّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين (٨) ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكُمُ السَّمْعَ والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ (٣)

وثبوتها بالعقل ما أثبته الفلاسفة للنفس ، فهم يرون أنها أظهر من أن تحتاج إلى دليل فى ثبوتها (٤) .

وأما ثبوتها بالتجربة ، فيكفى فيه أنهم يشهدون بوجوبها ويعترفون بقصور المنهج العلمى عن الوصول إلى حقيقتها .

الموقف الثانى

نقول :لو سلمنا جدلاً بدعوى منكرى البعث من الماديين أن لا نفس فى الإنسان وأن الفكر وظيفة المخ فلنا أن نقول :إن هذا التفسير المادى للإنسان

---

(١) الأضحوية لابن سينا تحقيق د / سليمان دنيا ص ١٠٦ .

(٢) سورة الحجر الآية ٢٩ .

(٣) سورة السجدة الآيات : ٧ ـ ٩ .

(٤) معارج القدس ـ للغزالى ص ٢٤ ط مكتبة الجندى للطباعة والنشر وراجع ديكارت د / عثمان أمين ص ١٤٩ ط مكتبه القاهرة الحديث للطباعة والنشر ط ٤ .

لا يصلح أساس لإنكار البعث مع التسليم بمبدأين يعترف بهما الماديون : إقرارا أو اضطرارا .

الأول : وجود الخالق سبحانه وتعالى واتصافه بكمال القدرة والعلم والحكمة .

الثاني : أن الإنسان هو المخلوق المميز على غيره من الكائنات الحية وغيرها إن لم يكن بالنوع فبدرجة من التفكير والإدراك تجعله أهلا للتكيف والثواب والعقاب فمع التسليم بهذين المبدأين لا يصلح أن يكون إنكار الروح وتفسير الفكر بأنه عمل من أعمال المادة مسوغا لإنكار المعاد (١) .

وليس أدل على ذلك من أن بعض مفكرى الإسلام ذهب إلى أن النفس عرض ينشأ من اعتدال أخلاط الجسم وأجزائه وتركيبها بنسبة مخصوصة (٢) .

وهذا الرأى لأبى الحسن البصرى وأبى الهزيل العلاف من شيوخ المعتزلة ـ كما ينسب القول بأن الروح عرض وهو الحياة وهى غير النفس التى هى النسيم الداخل بالتنفس ـ إلى أبى بكر الباقلانى ومن يتبعه من الأشاعرة (٣) .

فما ذهب إليه هؤلاء فى تفسير الروح لا يكاد يختلف عما ذهب إليه الماديون من تفسير النفس وعلى الرغم من ذلك فهم يؤمنون بعقيدة البعث والجزاء والجنة والنار والشفاعة والصراط .

بهذين الموقفين نستطيع القول بأن إنكار النفس الإنسانية إنكار للبعث

---

(١) الإنسان كما يصوره القرآن . د / صلاح عبد الحليم ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعرى ح ٢ ص ٢٤ مكتبة النهضة المصرية .

(٣) نفس المرجع وراجع الفصل لابن حزم ح ٥ ص ٦٥ وما بعدها .

كما قال الماديون ليس ظنا فحسب بل هو مجرد وهم من الأوهام كما يفهم من كلام ابن سينا السابق .

الشبهة الثالثة :

وهى متمثلة فى إنكار الآخرة وإنكار الجنة والنار مع أن المتمسكين بهذه الشبهة يزعمون الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى .

وحاصل هذه الشبهة : أن الدنيا هى دار الجزاء كما هى دار العمل وهى أبدية لا تفنى والجنة والنعيم فيها هو ما يصيب الناس من خير والنعمة والعافية والنار والعقاب هو ما يصيبهم من شر ومشقة وبلية وبذلك يستوفى الناس جزاءهم على أعمالهم ثوابا وعقابا فى هذه الحياة ومن ثم أنكروا البعث والجزاء فى حياة أخرى بعد هذه الحياة (١) .

الجواب : على هذه الشبهة واضح جلى وضوح الشمس فى كبد السماء وذلك من خلال نصوص القرآن الكريم .

فالقرآن يقرر فى آياته العديدة أن الدنيا دار ابتلاء وتكليف وليست دار جزاء على الأعمال خيرا كان أو شرا ، فما فيها من الخير والنعمة والعافية أو الشر والمشقة والبلية ، إنما هو امتحان وابتلاء وفتنه للإنسان هل يشكر أم يكفر وهذا مصداقا لقول الله تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) .

والواقع أيضا يرد على الماديين ، فإن كثيرا من الأشرار والكفار منعمون فى هذه الحياة ، والمؤمنون يعانون الفقر والحرمان ويبتلون بالكثير من

---

(١) بالرد على الدهريين د / جمال الدين الأصفهانى ص ٥٣ ـ ٥٥ مكتبة الخانجى للطباعة والنشر ط ٢ س ١٩٥٥م .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ٣٥ .

البلايا ، وهذا ما يؤكده القرآن ويقرره قال تعالى ﴿ وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

فلو كانت الدنيا دار جزاء كما هي دار عمل لفقدنا في حياتنا العدل الإلهي فالعدل الإلهي لا يتحقق إلا بإثابة المحسن وعقاب المسئ ، وتمييز أحدهما من الآخر لأن التسوية بينهما ظلم والله منزه عنه وذلك لا يتحقق في هذه الدار لأنها للتكليف لا للجزاء ، فكان لابد من وقوع البعث والجزاء في حياة أخرى بمقتضى العدل الإلهي وهذا هو ما أكده القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٢) .

وبعد ..... فهذه هي أهم الشبه التي أثارها منكرو البعث من أصحاب الاتجاه المادي وقد تبين لنا أنها لا تخرج في قيمتها العقلية والعلمية عن الشبه القديمة التي أثارها منكرو البعث في عصر نزول القرآن على رسول الله ﷺ ؛ فهي كما أخبر القرآن مجرد أوهام وظنون لا تستند إلى دليل أو برهان

هذا .... ويمكن أن نرد على أصحاب هذا الاتجاه المادي بالأدلة الكونية والنفسية التي تدل على وجود الصانع أولا وقدرته ثانيا وبالقياس تدل على إحياء الأموات بعد موتهم ثالثا .

---

(١) سورة الزخرف رقم ٣٣ - ٣٥ .
(٢) سورة يونس رقم ٤ .

ولذلك أقول من الممكن أن نأخذ الفصل الأول من هذا الباب ردا على الماديين والطبيعيين فالاستدلال بخلق السموات والأرض وخلق الإنسان وإحياء الأرض بعد موتها وإخراج الضد من الضد كما بينا من أعظم الأدلة التى تدل على إحياء الموتى.وأعظم الردود على منكرى البعث (١)

الاتجاه الثانى : الاتجاه الفلسفى

وهذا الاتجاه ينكر المعاد الجسمانى ويقر بالمعاد الروحانى فقط لذلك أقول : لقد أنكر أصحاب الاتجاه المادى قضية البعث أصلا ، وذهب فلاسفة الإسلام ومن تبعهم إلى أن البعث يكون بالروح فقط ، وذلك لأن البدن عندهم ينعدم بصوره وأعراضه فلا يعاد ، والنفس جوهر مجرد باق لا سبيل إليه للفناء فيعود إلى عالم المجردات بقطع التعليقات (٢) .

ويمثل هذا الاتجاه كما قلنا فلاسفة الإسلام أمثال ، ابن سينا وابن رشد والفارابى وغيرهم ، ولكننا نكتفى فى هذا القول عند الفلاسفة بما ذكره ابن سينا وابن رشد فى كتبهما خشية الإطالة .

رأى ابن سينا :

يتخذ ابن سينا فى عرض آرائه ومذهبه منهجا خاصا حيث يجعل الناس طائفتين ، أحدهما طائفة العامة والثانية طائفة الخاصة .

أما عن الطائفة الأولى فيقول :يجب أن يقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته وتسكن إليه نفوسهم ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمون ويتصورون، أما عن الطائفة الثانية فهم لا يقنعون إلا بالحقائق (٣).

(١) راجع الفصل الأول من هذا الباب وهو بعنوان الاستدلال على البعث فى ضوء السورة
(٢) شرح المقاصد ـ للإمام التفتازانى ح ٥ ص ٨٩ ، ٩٠ بتصرف فى اللفظ
(٣) رسالة أضحوية فى أمر المعاد ـ لابن سينا ص ١٩ .

يقول الدكتور سليمان دنيا : وهذه النصوص فيما أرى تدل دلالة صريحة على أن لابن سينا منهجا مرسوما يسير عليه وأن هذا المنهج قاض بجعل الناس طائفتين .

إحداهما : فرقة العامة ، وهؤلاء يجب أن يطوى عنهم كثير من الحقائق وليس هذا فحسب بل تصور لهم الحقائق بصور تستسيغها أفهامهم ولا بأس أن تكون هذه الصور التى تتناسب مع عقولهم واستعدادهم لا تصور الواقع ولا تحكيه ولهؤلاء الناس ألف ابن سينا تآليف أودعها من المعارف ما يصور الحقيقة بالنسبة لهم لا بالنسبة لنفسه .

ثانيهما : فرقة الخاصة والتى زودت بفطر صافية وعقول نقية وهؤلاء لا يقنعون إلا بالحقائق سافرة واضحة فلهؤلاء ألف ابن سينا تآليف أودعها من الحقائق ما يخالف ما فى كتب الفرقة السابقة ولا بأس عند ابن سينا بذلك وليس هذا عنده من التناقض فى قليل ولا كثير (١) .

وهذا المنهج يقرره ابن سينا فى إحدى كتبه فقال فى كتابه الأضحويه ، إنه ألف كتبا للعامة هذه الكتب قرر فيها المعاد على وجه يتصورونه .

ثم قال : وما جمعنا هذا الكتاب ـ كتابه رسالة أضحوية فى أمر المعاد ـ لنظهره إلا لأنفسنا أعنى الذين يقومون منا مقام أنفسنا ، وأما العامة من مزاولى هذا الشأن فقد أعطيناهم فى كتاب الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجاتهم وسنعطيهم فى اللواحق ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه (٢) .

وننتهى من ذلك إلى أن مؤلفات ابن سينا نوعان ، أحدهما للعامة لا

---

(١) تعليق الدكتور سليمان دنيا على رسالة أضحوية فى أمر المعاد لابن سينا ص ١٩ . ٢٠ .
(٢) أضحويه فى أمر المعاد ص ٢٠ بتصرف .

يصرح فيه برأيه الحقيقى مثل كتابى - النجاة - والشفاء وثانيهما للخاصة ، وهو يصرح فيه بما يراه حقا مثل كتابى الإشارات - الأضحوية .

خلاصة رأى ابن سينا فى المعاد على قولين

الأول : وجوب المعاد الروحانى عقلا

الثانى : استحالة المعاد الجسمانى عقلا ، وظاهر الشرع فى ذلك ليس حجة وإنما هو تمثيل للعامة بما يفهمونه ترغيبا وترهيبا .

أولا : وجوب المعاد الروحانى

يرى ابن سينا : أن النفس جوهر مفارق هو الإنسان على حقيقته وهو يبقى بعد الموت بقاء سرمديا ، إما فى لذة لا يحيط الوصف بها لعظمها ، وإما فى ألم يحيط الوصف به لعظمه ثم قد يكون ذلك الألم مخلدا وقد ينمحى على طول الزمان ، ثم تتفاوت طبقات الناس فى درجات الألم تفاوتا محصورا كما يتفاوتون فى المراتب الدنيوية ولذاتها تفاوتا غير محصور فاللذة السرمدية للنفوس الكاملة الذكية والألم السرمدى للنفوس الكاملة الملطخة ، فلا ينال السعادة المطلقة إلا بالكمال والتزكية والطهارة والكمال بالعلم والذكاء والعمل (١) .

وهكذا يريد أن يثبت ابن سينا أن الشئ الحقيقى المعتبر من الإنسان هو النفس وبذلك تكون واجبة الخلود باقية بعد مفارقة البدن .

ويؤكد ذلك بقوله : فالنفس والعقل غير قابل للفساد ، فإذا هو بعد البدن ثابت ومن الضرورة أن كل ثابت دراك الجوهر إما أن يكون مستريحا ، أو متلذذا ، أو متألما فإن النفس فى الحياة الثانية إما مستريحة ، أو متلذذة ،

(١) تهافت الفلاسفة والغزالى ص ٢٨٢ ط دار المعارف .

أو متألمة ، وكل مستريح فهو إما مغتبط بذاته أو محزون من جهة ذاته إذا كان يدرك ذاته .

وكذلك النفس فى حال الاستراحة إما مغتبطة وإما محزونة ثم من المحال أن تكون محزونة لأن الحزن ضد الراحة ، فإذاً تكون مغتبطة ، الاغتباط خير ما ولذة فإذن فى حياة الاستراحة تكون متلذذة ، فإذاً ليست القسمة ثلاثة بل اثنان متألم ومتلذذ والألم السرمدى : شقاوة واللذة السرمدية الجوهرية الغير المشبوهة سعادة فالنفس بعد الموت ، إما شقية وإما سعيدة وذلك هو المعاد (١) .

فالنفس الناطقة كحالها الخاص بها أن تصير عالما عقليا مرتسما فيها صورة الكل والنظام المعقول فى الكل والخير الفائض فى الكل مبتدئة من مبدأ الكل سالكة إلى الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعا ما بالأبدان ثم الأجسام العلوية بهيئاتها وقواها (٢) .

فالسعادة الأخروية ، عند تخلص النفس عن البدن وآثار الطبيعة وتجرده كامل اللذات ناظرا نظرا عقليا إلى ذات من له الملك الأعظم وإلى الروحانيين الذين يعبدونه وإلى العالم الأعلى وإلى وصول كماله إليه واللذة الجليلة عند ذلك والشقاوة الأخروية عند ضد ذلك ، وكما أن تلك السعادة عظيمة جدا كذلك الشقاوة التى تقابلها أليمة جدا (٣) .

ولأن النفس فى البدن لم تكن كالصورة فى المادة فليس جوهر البدن هو الحائل بينه وبين تلك السعادة ، بل الآثار والهيئات المتقررة فيه عن البدن .

---

(١) الأضحوية لابن سينا ص ١١٠ ـ ١١١ .

(٢) الشفاء / لابن سينا ح ٢ ص ٤٢٥ ط وزارة الثقافة .

(٣) الأضحوية ص ١١٨ ـ ١١٩ .

فإذا ثبتت الهيأة البدنية كالشهوة والغضب والرغبة فى غير المرغوب فيه من الأمور الدنيوية فى النفس ، ورسخت وفارقت البدن وهى فيه ثابتة كانت ممتنعة عن الاستكمال الحقيقى والسعادة العضوية ، ويكون كأنه يعد فى البدن وإليه أشار الرامزون من الحكماء بالتناسخ (١) .

وهكذا .... يقرر ابن سينا فى كلامه السابق أن نفس الإنسان هى حقيقة وهى باقية بعد الموت بقاء سرمديا لكن هذا البقاء إما أن يكون فى لذة دائمة وإما فى ألم دائم ، ففى لذة سرمدية صاحب النفس الكاملة الذكية وفى ألم سرمدى صاحب النفس الملطخة بالذنوب .

ثم يقرر أن النفس غير قابلة للفساد ، فإذن هى ثابتة بعد الموت ومن الضرورى أن كل ثابت دون ذلك الجوهر .

وهذا الكلام يشبه كلام المعتزلة فى قضية إعادة المعدوم حيث قالوا إن المعدوم شئ ومعلوم ومذكور إلا أنه ليس بجوهر ولا عرض (٢) .

وقالوا : إن المعدوم متميز وكل متميز ثابت (٣) إلا أن هناك فرقا كبير بين المعتزلة فى بعث الأجساد وبين قول الفلاسفة فالفلاسفة منكرون والمعتزلة معترفون .

ثانيا : استحالة المعاد الجسمانى :

ينكر ابن سينا بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود النار الجسمانية ، ووجود الجنة والحور العين وسائر ما وعد به الناس من الجزاء ،

---

(١) الأضحوية لابن سينا ص ١١٩ .

(٢) الفرق بين الفرق ـ للبغدادى ص ١٦٤ ط دار الآفاق بيروت س ١٩٧٣ وهذا القول ينسب إلى الكعبى من المعتزلة .

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للإمام الرازى ص ٣٦ ط والمطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٢٣هـ .

ويقرر أن ما ورد فى ذلك من النصوص الشرعية إنما هو أمثلة ضربت لعوام الخلق لتفهيم ثواب وعقاب روحانيين هما أعلى رتبة من الجسمانيين (١) .

وعلى هذا يقول : لا يمكن أن تعود النفس بعد الموت إلى البدن البتة فالمعاد إذن للنفس وحدها (٢) .

ولابن سينا فى إثبات قوله هذا مسالك متعددة منها

مسلكه الأول

يقول : إن تقدير عود النفس إلى البدن على ثلاثة أقسام كلها باطلة

القسم الأول :أن يقال :إن المعاد للبدن وحده لأن الإنسان هو البدن بحياة وإنسانية خلقتا فيه وهى عرضان والموت عدمهما فيه أو ضد لهما (٣) .

وأما النفس التى هى قائمة بنفسها ومدبرة للجسم فلا وجود لها وفى النشأة الثانية تخلق فى ذلك البدن حياة وإنسانية بعدما رم وتفتت ويعاد ذلك الإنسان بعينه حيا .

هذا هو ما ذهب إليه أهل الجدل من العرب على حد قول ابن سينا

وهو باطل ومحال لما يلى :

أنه يلزم عليه عدم تحقق العدالة الإلهية إذ يثاب فيه غير المحسن ويعاقب غير المسئ وبيان ذلك . أن الإنسان ليس بمادته بل بصورته الموجودة فى مادته وإنما تكون الأفعال الإنسانية صادرة عنه لوجود صورته فى مادة ،

(١) تهافت الفلاسفة ـ الغزالى ص ٢٨٢ .
(٢) الأضحوية ـ ابن سينا ص ٨٩ .
(٣) نفس المرجع ص ٣٨ .

فإذا بطلت صورته عن مادته وعادت مادته ترابا فقد بطل ذلك الإنسان بعينه (١) .

ثم إذا خلقت فى تلك المادة بعينها صورة إنسانية جديدة حدث عنها إنسان آخر لا ذلك الإنسان الأول فإن الموجود فى هذا الثانى من الأول مادته ولم يكن هو ما هو ولا محموداً ولا مذموما ولا مستحقا للثواب ولا للعقاب بمادته بل بصورته ومن هنا يتبين أن الإنسان المثاب والمعاقب ليس ذلك الأول المحسن المسئ بل إنسان آخر مشارك فى مادته التى كانت له (٢) .

القسم الثانى : أن تجعل الروح باقية وعند الموت ترد إلى البدن بعينه ، وهذا وإن كان معادا حقيقة لابد فيه عود الروح إلى تدبير البدن بعد مفارقته إلا أنه محال لما يلى :

أن المادة الموجودة للكائنات لا تفى بأشخاص الكائنات الخالية إذا بعثت بمعنى أن النفوس المفارقة للأبدان غير متناهية والمواد القابلة للكون والفساد التى يخلق منها أبدان الناس محصورة ومتناهية فلا تفى بالنفوس غير المتناهية إذا بعثت (٣) .

ثم يقول سلمنا أنها تفى لكنا نقول إما أن يكون المعاد من البدن هو المادة التى كانت حاضرة عند الموت أو جميع المادة التى كانت معه فى جميع أيام العمر وكل من الغرضين باطل ، أما الأول : فلما يلزمه أن يبعث المجدوع والمقطوع يده فى سبيل الله على صورته وهذا مستقبح شرعا .

(١) الأضحوية ص ٥١ ـ ٥٢ بتصرف .
(٢) نفس المرجع ص ٥٢ وراجع تهافت الفلاسفة ص ٢٩٥ ـ ٢٩٨ .
(٣) نفس المرجع ص ٥٣ ـ ٥٣ بتدخل وتصرف فى اللفظ .

وأما الثانى فلانه يلزمه محالان :

الأول : أن لا يبعث جميع الناس بأعيانهم إذ أن مادة واحدة قد تكون بدنا لأكثر من إنسان نتيجة اختلاط المواد وامتزاجها بعد تحلل الأبدان وامتزاجها بالعناصر الأرضية بحيث تصير غذاء يتكون منه إنسان آخر (١)

الثـــانى : أنه يجب أن يعاد جزء واحد بعينه يد أو رأس وكبد أو قلب يتغذى بعضها من بعض فيتغذى الكبد بأجزاء القلب وكذلك سائر الأعضاء فنفرض أجزاء معينة قد كانت مادة لجملة من الأعضاء فإلى أى عنصر يعاد ؟ (٢)

القسم الثالث : أن تجعل الروح باقية وترد عند البعث إلى بدن أى تراب وأى هواء وماء ونار وليس من شرطه أن تكون المادة الموجودة فى الحياة الأولى بعينها وذلك محال لما يلى .

أن المادة متناهية والنفوس الإنسانية غير متناهية فلا تفى الأولى بالثانية وأيضا يلزم التناسخ والتناسخ باطل ، وبيان ذلك .

أن التراب لا يقبل تدبير النفس ما بقى ترابا لابد أن تمتزج العناصر امتزاجا يضاهى امتزاج النطفة ، بل الخشب والحديد لا يقبل هذا التدبير ولا يمكن إعادة الإنسان وبدنه من خشب أو حديد بل لا يكون إنسانا إلا إذا انقسمت أعضاء بدنه إلى اللحم والعظم والأخلاط ومهما استعد البدن الواحد والمزاج لقبول نفس ، استحق من المبادئ الواهية للنفوس حدوث نفس فيتوارد على البدن الواحد نفسان وبهذا بطل مذهب التناسخ وهذا

---

(١) الأضحوية ص ٥٥ ـ ٥٦ بتصرف وراجع تهافت الفلاسفة ص ٢٩٧ وما بعدها .
(٢) نفس المرجع ص ٥٥ بتصرف .

المذهب هو عين التناسخ فإنه رجع إلى اشتغال النفس بعد خلاصها من البدن بتدبير بدن آخر غير البدن الأول ، فالمسلك الذى يدل على بطلان التناسخ يدل على بطلان هذا المذهب (١) .

مسلكه الثانى :

حاصله : أن السعادة الحقيقية للإنسان يضادها وجود نفسه فى بدنه وأن اللذات البدنية غير اللذات الحقيقية وأن تصير النفس فى البدن عقوبة له (٢)

أن السعادة الحقيقية للإنسان هى سعادة النفس لذاتها فهى كما ذكرنا ، كون الجوهر العاقل بأن يتمثل فيه جلية الحق قدر ما يمكنه أن ينال منه بهيئته الذى يخصه .

ثم أن هذه اللذة العقلية والسعادة الحقيقية للإنسان لا تنال على الإطلاق فى الدنيا لأنها مشبوهة بما يضادها وهو الآثار الطبيعية ومقتضيات البدن وإنما ينال منها فى الدنيا جزء له قدر .

وإنما تنال السعادة الحقيقية للإنسان على الإطلاق فى الآخرة عند تخلص النفس من البدن وآثار الطبيعة وتجرده حيث اللذة كاملة بالنظر العقلى إلى ذات من له الملك الأعظم وإلى الروحانيين الذين يعبدونه وإلى العالم الأعلى وإلى وصول كماله إليه ، فلو بعث البدن لكان ذلك مضاد لما وعد به العارفون العابدون من السعادة المطلقة (٣) .

---

(١) نفس المرجع والتهافت للغزالى ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨ .
(٢) الأضحوية ص ٥٣ .
(٣) الأضحوية ص ١١٨ ـ ١١٩ بتصرف .

مسلكه الثالث :

حاصله : أن الفضل الإلهى لا يتبدل عن مجراه المضروب له لأن الأزل الواجب الوجود بالذات برئ عن جميع أنحاء التغير والتبدل وفعله الصادر عن حكمته وإرادته مضاد لحكمته وإرادته الأزليين (١) .

وسنة الله فى إيجاد الكائنات هى أن جعل العناصر الأربعة الماء والتراب والهواء والنار أصول الكون والفساد فى العالم الأرضى تتركب منها مركبات من المعدنيات والنباتات والحيوان بطريق الامتزاج الخاص بكل منها كما يقول ابن سينا : هذه العناصر يخلق منها ما يخلق بأمزجة تقع فيها على نسب خلق مختلفة معدة نحو عناصر مختلفة بحسب المعدنيات والنباتات والحيوان أجناسها وأنواعها (٢) .

إذن فسنة الله فى إيجاد الإنسان إنما تكون بالامتزاج المعهود فى التوالد والتناسل وتردد النطفة فى الأدوار والأطوار المعهودة .

وحيث إن العقل الإلهى لا يتبدل ولا يتغير عن مجراه المضروب له فلا يمكن إعادة الإنسان روحا وجسما إلا بالتردد فى هذه الأطوار والسير على هذا المنهاج المعهود فى خلق الإنسان وإيجاده على ذلك نقول :

إن حشر الإجساد محال لأن إعادة الإنسان مباشرة من التراب أو المادة الأرضية دون تردد فى هذه الأطوار محال وتردده فى هذه الأطوار دون جريان الأسباب والسنن المعهودة محال ، فيكون حشر الأجساد محالا ضرورة استمرار التوالد والتناسل إذ هو فعل إلهى أزلى لا يجوز عليه التبدل والتغيير (٣) .

---

(١) نفس المرجع ص ٥٣ بتصرف .
(٢) الاشارات والتنبيهات ح ٢ ص ٣٠٢ تحقيق د / سليمان دنيا ط دار المعارف .
(٣) المرجع السابق ح ٢ ص ٣١٦ .

رأى ابن رشد

يرى ابن رشد أن قضية حشر الأجساد اعتقاد قديم توراثته جميع الشرائع وأول من قال به هم أنبياء بنى إسرائيل وهذا الأمر واضح من الزبور ومن الصحف المنسوبة لبنى إسرائيل وثبت أيضا فى الإنجيل وتواتر القول عن عيسى عليه السلام وهو قول الصابئة (١) .

لكن ابن رشد مع إيمانه بالحياة الآخرة إلا أنه كان يرى أن ذلك كله تمثيل أتى به أرباب الديانات ليحثوا به العامة على اكتساب الفضيلة والبعد عن الرذيلة حيث أن التمثيل بالمحسوسات أبلغ فى تحقيق الغرض المنشود .

يقول الدكتور غلاب : أما خلود النفس عند ابن رشد بالمعنى الذى تفهمه الجماهير من أنها ستبقى بقاء شخصيا وستلاقى جزاءها بعيدة عن الجسم كما قررت بعض الديانات القديمة أو أنها ستلقى الجزاء فى الأجسام كما أعلن الإسلام فكل ذلك عنده تمثيل أتى به حكماء هذه الديانات ليرهبوا به العامة من العقاب ويغروهم بالثواب فيسلكوا سبيل الفضائل ويتجنبوا الرذائل وذلك لأن كل نبى حكيم يهمه صلاح الأمة التى وجد فيها وهو يرى أن التمثيل بالحشر الجسمانى أبلغ فى تحقيق هذا الغرض من التمثيل بالحشر الروحانى لأنه أشد إرعابا وإفزاعا للشريرين ، قال الله تعالى ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (٢) . وقال تعالى ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ... ﴾ (٣) وهو كذلك

(١) تهافت التهافت لابن رشد ص ١١٦٤ بتصرف ط دار المعارف .
(٢) سورة النساء الآية ٥٦ .
(٣) سورة الكهف الآية ٢٩ .

أعظم ترغيبا للأخيار قال تعالى ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ (١) ﴾ (٢) .

غير أن قوله هذا لم يمنعه من أن يعلن أنه إذا ثبت خلود النفس وعودتها إلى الأجسام ، فإن من المستحيل أن تكون هى الأجسام الأولى لأنها فسدت وما فسد لا يعود كما كان ، وأنها توجد لها أجسام جديدة تحل فيها (٣) .

وإمكان قوله هذا ينبنى على أمرين : أحدهما: إن النفس باقية ، والثانى : أنه ليس يلحق عن عودة النفس إلى أجسام أخرى المحال الذى يلحق عن عودة تلك الأجسام بعينها (٤) فكأنه يقول : إن الأجساد التى تعاد على فرض إعادتها هى أمثال هذه الأجساد التى كانت فى الدنيا لا هى بعينها غير أننا نقول إنه لو فرض إعادة الجسم الأول يعترض عليه بأن هذا الجسم الثانى لم يباشر مع الروح شيئا فى الدنيا لا طاعة ولا معصية فلا يستحق من الثواب أو العقاب شيئا، اللهم إلا أن يقال : إن ذلك روحانى فقط وهذا ما تنكره الأديان السماوية

موقف القرآن الكريم من منكرى المعاد الجسمانى :

إن القرآن الكريم كما نعلم هو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، والسنة النبوية هى الموضحة والمبينة والمفصلة لما أجمله القرآن الكريم .

---

(١) سورة محمد الآية ١٥ .

(٢) الفلسفة الإسلامية فى المغرب د / محمد غلاب ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) تهافت التهافت لابن رشد ص ١٣٤ ج ٢ ط دار المعارف .

(٤) الكشف عن مناهج الأدله لابن رشد ص ٢٤٥ ط ٢ سنة ١٩٦٤ - طبع ونشر مكتبة الانجلو المصرية .

ولذلك نقول : لقد دل القرآن والسنة على بعث الروح والجسد والآيات فى هذا الصدد صريحة واضحة جلية .

ودل القرآن على أن الروح بعد الموت منعمة أو معذبة فقال الله تعالى فى آل فرعون : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ (١) .

وقال فى قوم نوح عليه السلام ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا ﴾ (٢)

وقال فى حق الشهداء ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (٣) .

ومن السنة قوله ﷺ (لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير أخضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها) (٤) .

ودل القرآن على أن الجزاء الروحانى فى الآخرة ، سعادة وشقاوة ، سعادة كالأمن من الخوف والحزن قال تعالى ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٥) وقال ﴿ ولقاهم نضرة وسرورا ﴾ (٦) وقال ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴿٢٢﴾ إلى ربها ناظرة ﴾ (٧) .

وشقاوة : بضد ذلك كالخوف والحزن والغم والحسرة والندامة وهذا واضح من قوله تعالى ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع

(١) سورة غافر الآية ٤٦ .
(٢) سورة نوح الآية ٢٥ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .
(٤) رواه الإمام أحمد فى مسنده وانظره فى كتاب الروح لابن القيم ص ٣٩ ط صبيح .
(٥) سورة البقرة الآية ٣٨ .
(٦) سورة الإنسان الآية ١١ .
(٧) سورة القيامة الآية ٢٢ ـ ٢٣ .

الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ (١) وقوله ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون ﴾ (٢) .

وأرشد القرآن إلى أن هذا الجزء الروحي والجزء الحسى هو ثواب فى الجنة وعقاب فى النار والآيات واضحة جلية كما فى سورة فصلت ويس والواقعة وغيرهم من السور القرآنية .

قال تعالى ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خلْقٍ عليمٌ ﴾ (٣)

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ... إلى قوله : فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (٥) هذا فى أصحاب النعيم ، أما فى أصحاب الجحيم فقال بعد ذلك ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ... إلى قوله تعالى : فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٦) .

على ضوء هذه الآيات الواضحة فإننا نتفق مع ابن سينا فى أن الروح باقية بعد الموت وأن لها جزاء روحانيا فى الحياة الأخرى ولكن لا نتفق معه فى إنكار حشر الأجساد وإنكار اللذات الجسمانية فى الجنة وإنكار الآلام الجسمانية فى النار .

هذا مما يجعلنا نقول : إن رأى الفلاسفة وعلى رأسهم ابن سينا فى إنكارهم لحشر الأجساد باطل حيث إنهم قد خالفوا نصوص القرآن

(٨) سورة الفرقان الآية ٢٧ .
(٢) سورة المطففين الآية ١٥ .
(٣) سورة يس الآية ٧٩ .
(٤) سورة فصلت الآية ٢١ .
(٥) سورة الواقعة الآيات ١٠ ـ ٣٨ .
(٦) سورة الواقعة الآية ٤١ ـ ٥٦ .

الكريم ، وما استند إليه هؤلاء من شبه عقلية إن هو إلا ظن لا يرقى إلى مرتبة الدليل أو البرهان .

لذلك أعرض الآن شبه الفلاسفة وأناقشهم فيها ، وهذه الشبه تلخص أقوالهم السابقة هذا مما جعلنى أترك مناقشة أقوالهم إلى أثناء عرضى لشبههم .

شبه الفلاسفة المنكرين لحشر الأجساد :

لقد تقدم القول بأن القرآن الكريم قد حكم على هؤلاء المنكرين للبعث الجسمانى بأنهم لا يتبعون إلا الظن وأعلن القرآن أن الظن لا يغنى عن الحق شئ ، وعلى ضوء هذا الهدى القرآنى فى الرد على منكرى البعث فإن ما أثاره الفلاسفة من شبه لإنكار المعاد الجسمانى لا يخرج عن إطار الظن والاستبعاد المجرد ، لهذا نعرض شبه المنكرين للبعث ونرد عليها حتى يتضح لنا ذلك .

الشبة الأولى :

أن الأبدان متناهية بتناهى المادة ، والنفوس الإنسانية غير متناهية فلا تفى الأبدان لو حشرت بعدد النفوس فيكون حشرها مستحيلا (١)

والجواب :

أن هذه الشبهة مبنية على القول بقدم العالم ، وقدم العالم باطل فتكون هذه الشبهة باطلة ، فلا يمكن الجمع بين القول بقدم العالم وبين القول بحشر الأجساد .

يقول الإمام الغزالى إن من لا يعتقد قدم العالم فالنفوس المفارقة للأبدان

---

(١) راجع فى ذلك الموقف السادس للإمام الانجى ص ٢٢٨ وكذلك رسالة الأضحوية ص ٧٠ .

عنده متناهية ، وليست أكثر من المواد الموجودة وإن سلم أنها أكثر ، فالله تعالى قادر على الخلق واستئناف الاختراع ، وإنكاره إنكارا لقدرة الله تعالى على الإحداث (١) .

الشبهة الثانية :

وهذه الشبهة تنبني على أن حشر الأجساد والذى نقول به لا يتم مع القول بصحة إعادة المعلوم وإذا بطل الثانى فالأول أولى بطلانا .

وفى هذا الشأن يقول الفلاسفة ، إن حشر الأجساد لا يتم إلا مع القول بصحة إعادة المعدوم وهذا محال فذلك محال (٢) .

الجواب :

نقول إن امتناع الإعادة ممنوع ولو سلم فالمراد إعادة الأجزاء إلى ما كانت عليه من التأليف والحياة ونحو ذلك ولا يضرنا كون المعاد مثل المبدأ لا عينه (٣) .

الشبهة الثالثة :

وهذه الشبهة توضح الشبهة التى قبلها وتفصلها وهى تتلخص فيما يلى : أن الإنسان عبارة عن البدن والحياة عرض قائم به والموت هو انعدام الحياة والبدن وما عدم لا يقبل أن يعود واسئناف الخلق وإيجاد لمثل ما كان لا لعين ما كان بل العود المفهوم وهو الذى يفرض فيه بقاء شئ وتجدد شئ كما يقال : فلان عاد إلى الأنعام أى أن المنعم باق ، وترك الأنعام ثم عاد إليه ويقال فلان عاد إلى البلد أى بقى موجودا خارج البلد وقد كان له كون فى

---

(١) تهافت الفلاسفة ـ الغزالى ص ٣٠٠ .

(٢) الأربعين فى أصول الدين للإمام الرازى ح ٢ ص ٥٨ .

(٣) شرح المقاصد ـ للتفتازانى ح ٥ ص ٩٥ .

البلد فعاد إلى مثل ذلك فإن لم يكن شئ باقيا وشيئان متعددان متماثلان يتخللهما زمان لم يتم اسم العود (١) .

الجواب

يرد عليهم بأن المعدوم قابل للوجود والعدم وما كان قابلا للوجود والعدم فهو ممكن والممكن ليس وجوده من ذاته ولا عدمه من ذاته وليس للأوقات أى أثر فى الإيجاد أو الإعدام وعلى هذا فهومستوى الطرفين فإذا تعلقت به قدرة البارى إيجادا وجد وإذا تعلقت به إعداما عدم فأنا مثلا لم أكن موجودا - أى كنت ممكنا أقبل أى شئ - وحينما تعلقت قدرة الله سبحانه وتعالى بإيجادى وجدت ، وحينما تتعلق بإعدامى أعدم ولا دخل لى فى الوجود أو العدم فإذا أراد سبحانه وتعالى إعادتى بالبعث وتعلقت قدرته بذلك تحققت الإعادة وليكن ذلك المعاد جمعا بعد التفريق أو إعادة كاملة لذات المعدوم ، فهو سبحانه إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون ولا يسمى هذا خلقا آخر وهو إيجاد لعين ما كان (٢) .

الشبهة الرابعة :

إذا قتل إنسان وأكله إنسان آخر - كما يحدث فى المجاعات - فقد صارت أجزاء بدن المقتول أجزاء بدن هذا الذى أكله لأن من أكل شيئا وتغذى به فقد صارت أجزاء الغذاء أجزاء لبدن المتغذى ، فيوم القيامة لابد أن ترد ذلك الأجزاء إلى بدن هذين الشخصين فلابد أن يضيع الثانى فعلمنا أن القول بحشر الأجساد محال (٣) .

---

(١) تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى ص ٢٩٦ ورجع فى ذلك نظرات فى العقيدة الإسلامية د / محمد الأنور عيسى ص ٢٥٦ ط ٢ بدون ذكر الطبع .

(٢) راجع المرجع السابق وانظر أيضا : نظرات فى العقيدة الإسلامية د / محمد الأنور ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٣) الأربعين فى أصول الدين للإمام الرازى ح ٢ ص ٥٨ بتصرف .

وأيضا ربما تتحول الأبدان إلى تراب والتراب يزرع فيه النبات والنبات تأكله الحيوانات فيصير لحما لها ونحن نأكل فتصير لحوم أجسامها أجساما لنا ، فلو رجعنا إلى البدء لوجدنا أن الغذاء الذى وصل إلينا من لحوم الحيوانات كان أجساما للموتى ويعنى هذا تداخل أجسامنا مع أجسام الموتى وهذا يؤدى إلى استحالة المعاد الجسمانى (١) .

الجواب

يرد عليهم بأن علم الله سبحانه وتعالى كاشف لكل شئ لا تخفى عنه خافية ، وقدرته شاملة لكل الممكنات وما يحدث من تطورات للبدن وتداخلات مع غيره من الأبدان لا يمنع قدراته سبحانه وتعالى من رد كل بدن إلى ما كان عليه ، ربما أودع الله سبحانه وتعالى كل بدن إنسانى خاصية تجعله منفردا عن غيره بحيث يكون صالحا للانسلاخ عن غيره والتفرد ، ولعل عمليات زرع القلب فى عصرنا تؤكد ذلك حيث يرفض جسم المريض القلب الدخيل عليه رغم حاجة الجسم إليه .

ثم يرى شارح المواقف وصاحب الأربعين، أن المعاد هو الأجزاء الأصلية، وهى الباقية من أول العمر إلى آخره لا جميع الأجزاء على الإطلاق وهذه أى الأجزاء الأصلية التى كانت للإنسان المأكول فى الآكل فضل ـ أى شئ زائد ـ فإنا نعلم أن الإنسان باق مدة عمره وأجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه وإذا كانت فضلا فيه لم يجب إعادتها فى الآكل بل فى المأكول (٢) .

ثم يقول شارح الطوالع : إن المعاد من كل منهما أجزاؤه الأصلية التى

(١) نظرات فى العقيدة الإسلامية د / محمد الأنور ص ٢٥٧ بتصرف .
(٢) راجع شرح المواقف للمرجانى ح ٣ ص ٢٢٦ والأربعين للإمام الرازى ح ٢ ص ٦١ .

هـى الإنسان لا المتبدلة ولا الهيكل الذى يغفل عنه الشخص فى اكثر الأحوال فـإن الأجزاء الأصلية هى الباقية من أول عمره إلى آخره الحاضرة لنفسه ، والأجزاء الأصلية للمـأكول منه فضل بالنسبة للآكل فرده إلى المأكول منه أولى فلا يعاد فى الآكل المغتذى (١) .

وهكذا نجد : أن المعتبر فى الحشر والنشر إعادة الأجزاء الأصلية لا إعادة الأجزاء الفاضلة ، ثم نجد أن الأجزاء الأصلية لكل مكلف أجزاء فاضلة بالنسبة إلى غيره وعلى هذا التقرير نقول بأن الإشكال الذى زعمه الفلاسفة إشكال زائل

الشبهة الخامسة :

أنه تعالى إذا أعاد بدن شخص فإما أن يعيد هذه الأجزاء التى كانت موجودة وقت الموت أو يعيد جملة الأجزاء التى كانت أجزاء له فى جميع مدة حياة . والأول يقتضى أن يعاد الأعمى والأقطع والمجذوم على هذه الصورة وذلك باطل بالاتفاق ، والثانى أيضا باطل لأن الإنسان إذا كان وقت إسلامه سمينا ثم كفر وصار هزيلا فإذا حشر هذا الإنسان سمينا وعذب فى النار فقد وصل العذاب إلى تلك الأجزاء التى كانت موصوفة بصفة الإسلام وذلك ظلم وعلى العكس من هذا لو كان كافرا سمينا ثم اسلم فصار هزيلا لزم إيصال الثواب إلى الأجزاء الكافرة وهو محال (٢) .

الجواب :

بالإضافة إلى جواب الشبهة السابقة نقول إن المأمور والمنهى والمثاب

(١) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ـ للإمام الأصفهانى ص٢١٧ ط المطبعة الخيرية ط ١ سنة ١٣٢٣هـ .

(٢) الأربعين فى أصول الدين ج ٢ ص ٥٨ .

والمعاقب هو تلك الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره فأما الزوائد التى تتبدل باختلاف أحوال السمن والهزال فلا عبرة بها (١) .

الشبهة السادسة :

البدن جوهر حار رطب والحرارة إذا أثرت فى الرطوبة لزم أن تصعد من الجوهر الرطب أجزاء بخارية لطيفة فعلى هذا التقرير لابد أن يرتفع عن كل عضو أجزاء بخارية لطيفة ربما التصق بعضو آخر وصار جزء بذلك العضو الآخر ، فإذن هذا الجزء الواحد قد كان جزء لأحد العضوين ثم صار للعضو الآخر ففى زمان الحشر لو أعيد ذلك الجزء إلى العضو الأول ضاع العضو الثانى ولو أعيد إلى العضو الثانى لضاع العضو الأول ولما كان القول بالحشر مؤدياً إلى هذا الباطل وجب أن يكون باطلا (٢) .

الجواب :

بالإضافة إلى جواب الشبهة السابقة أيضا نقول إن الأجزاء التى تصير أبخره وتنفصل عن العضو وتتصل بعضو آخر فهى من الأجزاء الفاضلة ولا عبرة بها فى الحشر والنشر (٣) .

الشبهة السابعة :

وهذه الشبهة هى شبهة لزوم التناسخ بعودة الروح إلى البدن .

فهم يقولون : إن الروح لو ردت إلى بدن آخر غير الأول لكان هذا تناسخا لاشتغالها ببدن آخر غير بدننا ، والتناسخ فى رأينا ورأيكم باطل فيبطل ما أدى إليه وهو بعث الأجساد ويثبت بعث الأرواح فقط .

---

(١) نفس المرجع ح ٢ ص ٦١ .
(٢) نفس المرجع ح ٢ ص ٥٩ .
(٣) الأربعين للإمام الرازى ح ٢ ص ٦١ .

يقول ابن سينا : إن القول بحشر الأجساد يترتب عليه لزوم التناسخ بعودة الروح إلى البدن سواء قيل هو البدن الأول أو غيره ، فالتناسخ لازم في الحالين لأنه لا يمكن أن يكون الثانى هو الأول بعينه بل هو مثله إذ لا فرق بين المادتين المتشابهتين العائدتين فى النشأة الثانية إلا أن إحداهما كانت فيها صورة إنسانية فقدت والثانية لم تكن فيها ولبستها - أعنى فى وقت التصوير عند النشأة الثانية (١) .

الجواب :

هو أن نقول إنما يلزم التناسخ لو لم يكن البدن المحشور مؤلفا من الأجزاء الأصلية أما إذا كانت كذلك فلا يستحيل إعادة الروح إليه وليس ذلك من التناسخ وإن سمى مثل ذلك تناسخا كان مجرد اصطلاح وهذا فى حالة القول بالإعادة ممن عدم وهو قول جمهور أهل السنة ويؤكد هذا قول الله تعالى ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ﴾ (٢) فهذا يدل على تغاير الجلدين مع اتحاد أجزائهما بناء على تغاير الهيئة والتركيب (٣) .

يقول الدكتور محمد الأنور معرفا التناسخ الباطل : التناسخ الباطل هو انتقال الروح بعد موت صاحبها إلى جسد إنسانى ثانى ثم إلى جسد إنسانى آخر وهكذا ، ويكون هذا فى الدنيا لتلقى ثوابها أو عقابها فيما تلبسه من أجساد والقائل بهذا يقول بتعاقب الأدوار إلى غير نهاية مما يعنى عدم الإيمان بالبعث الأخروى .

ونحن لا نقول بهذا وإنما نقول إذا انتهت الدنيا أو دار التكليف تنتقل

---

(١) رسالة أضحوية فى أمر المعاد / لابن سينا ص ٥٧ - ٥٨ بتصرف .

(٢) سورة النساء الآية ٥٦ .

(٣) شرع العقائد النسفية للإمام د / محمد الأنور ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

الروح إلى بدنها الأول أو بدن مثل بدنها الأول لينال الإنسان الثواب أو العقاب فى الآخرة ولا يسمى هذا تناسخا أبدا لانتهاء دار التكليف وهذا ما قال به الشرع (١) .

يقول الإمام الغزالى لا مشاحة فى الأسماء فما ورد به الشرع يجب تصديقه فليكن تناسخا ونحن إنما ننكر التناسخ فى هذا العالم وأما البعث فلا ننكره سمى تناسخا أو لم يسم تناسخا (٢) .

الفلاسفة بين الإيمان والكفر

لمفكرى الإسلام اتجاهان مختلفان حول منكرى المعاد الجسمانى

الاتجاه الأول :

وهذا الاتجاه يمثله جمهور المسلمين وهو أن إنكار المعاد الجسمانى كفر يقينا وهذا هو ما نتعرف عليه من خلال الآراء التالية :

يقول الإمام الرازى فى تفسيره : هذا الإنكار موجب الكفر قطعا (٣) ويقول : الإنصاف أنه لا يمكن الجمع بين الإيمان بما جاء به النبى ﷺ وبين إنكار حشر الأجساد (٤) .

يقول صاحب المواقف : إن الصادق الذى علم صدقه بأدلة قاطعة أخبر عنه ـ أى عن حشر الأجساد ـ فى مواضع لا تحصى بعبارات لا تقبل التأويل حتى صار معلوما من الدين بالضرورة ، فمن أراد تأويلها بالأمور الراجعة إلى النفوس الناطقة فقط كابر بإنكار ما هو من ضرورات ذلك الدين وكل ما أخبر به الصادق فهو حق (٥) .

---

(١) نظرات فى العقيدة الإسلامية د / محمد الأنور ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .
(٢) المرجع السابق نقلا من كتاب تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى ص ٣٠٣ .
(٣) مفاتيح الغيب م ١ ح ١ ص ٢٣٢ المطبعة الخيرية .
(٤) بين الفلاسفة والكلاميين الشيخ محمد عبده ح ٢ ص ٦٠٦ .
(٥) المواقف ـ الموقف السادس ص ٢٢٦ دار الطباعة العامره .

ويقول الدوانى : والمعاد فإنه المتبادر عن أهل الشرع إذ هو الذى يجب الاعتقاد به ويكفر من أنكره بإجماع أهل الملل الثلاث وبشهادة نصوص القرآن فى المواضع المتعددة بحيث لا يقبل التأويل (١) .

وكذلك الإمام الغزالى كفر الفلاسفة فى مسائل ثلاثة منها مسألة إنكار حشر الأجساد (٢) وربما جعلها فى مقدمة المسائل كما فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد ، والمنقذ من الضلال وغيرهما حيث قال فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد ، ويجب القطع بتكفيرهم فى ثلاث مسائل وهى :

- إنكارهم لحشر الأجساد والتعذيب بالنار والنعيم فى الجنة بالحور العين والمأكول والمشروب والملبوس .
- قولهم إن الله لا يعلم الجزئيات وتفصيل الحوادث إنما يعلم الكليات وإن الجزئيات تعلمها الملائكة السماوية .
- قولهم إن العالم قديم وأن الله تعالى متقدم على العالم بالرتبة مثل تقدم العلة على المعلول .

وهذا كفر صريح والقول به إبطال لفائدة الشرائع وسد لباب الاهتداء بنور القرآن واستبعاد للرشد من قول الرسل ، فإنه إذا جاز عليهم الكذب لأجل الصالح بطلت الثقة بأقوالهم فما من قول يصدر عنهم إلا ويتصور أن يكون كذبا وإنما قالوا ذلك لمصلحة (٣) .

الاتجاه الثانى :

هذا الاتجاه يرى أن إنكار المعاد الجسمانى والجزاء الحسى فى الحياة

---

(١) بين الفلاسفة والكلاميين ج ٢ ص ٦٠٦ . للشيخ محمد عبده .
(٢) تهافت الفلاسفة ـ الغزالى ص ٣٠٥ وما بعدها .
(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد ـ الغزالى ص

الآخرة ليس كفرا ولا يخرج به صاحبه من الفلاسفة أو من غير الفلاسفة من دائرة الإيمان .

ويميل إلى هذا الاتجاه ابن رشد من الفلاسفة والإمام محمد عبده من المتكلمين .

ومن المعروف أن ابن رشد ألف كتابا سماه بتهافت التهافت وكان هذا الكتاب جملته فى الرد على كتاب الغزالى المسمى / بتهافت الفلاسفة .

ورأى ابن رشد فى هذا الكتاب ، أن أصل المعاد قد اتفقت عليه الشريعة والحكمة على وجوبه إذ وجب ذلك بدليل النقل والعقل فمن أنكره كافر زنديق يجب قتله باتفاق الحكماء وأهل الشرع .

ـ أما كيفية المعاد وصفته حسية ، أو معنوية ، أو جامعة بينهما من المسائل النظرية ، فلا ينبغى أن يحكم بتكفير أحد من أهل القبلة إذا أدى به نظره إلى القول والاعتقاد بكيفية معينة للمعاد بحيث لا يكون نظرا ينتهى إلى إبطال المعاد أصلا وإنكاره جمله فإن هذا كفر شرعا وعقلا .

إن الغزالى قال فى تهافت الفلاسفة ـ إنه لم يقل أحد من المسلمين بالمعاد الروحانى ، ثم قال : فى كتاب ميزان العمل ، إن الصوفية تقول به كما أنه جوز القول بالمعاد الروحانى .

وبناء على هذا كما يرى ابن رشد فلا يكون هناك إجماع على تكفير من أنكر المعاد الجسمانى وقال بالروحانى فقط وإن سلم الإجماع فلا يصح أن يكون حجة يستند إليه فى التكفير والغزالى نفسه قد تردد فى التكفير بالإجماع (١) .

---

(١) راجع تهافت التهافت لابن رشد ح ٢ ص ٨٦٤ وما بعدها .

أما عن رأى الإمام محمد عبده فإنه يميل إلى هذا القول حيث قال : فإن ذهب ذاهب إلى أن تلك اللذائذ الجسمانية على وجوه أعلى مما يعقله العوام واستندوا فى ذلك للشرع فلا يصح الحكم بتكفيره إذ قد آمن بالشرع وما فيه ، غايته قامت القرائن عنده على ما لم تقم عليه عند غيره فاختلفت الأفهام لاختلاف المشارب (١) .

ثم يقول : لم يصح الجمع بين القولين مع جواز أن يجعل النص من قبيل المتشابه الذى لا مجال للرأى فيه (٢) وهكذا يميل الإمام الشيخ محمد عبده إلى رأى ابن رشد فى عدم تفكير الفلاسفة بإنكار المعاد الجسمانى .

الرأى الذى نميل إليه :

لا شك أن الرأى الأول وهو رأى جـمـهـور المسلمين هو الرأى الموافق لنصوص القرآن الكريم ، فالقرآن حكم على هؤلاء المنكرين للبعث بالكفر .

قال تعالى ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (٣)

وقال ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ (٤) .

ووجه إلزام الكفر : أن دخول هذا الشئ فى الوجود ممكن الوجود فى

(١) بين الفلاسفة والكلاميين الإمام محمد عبده ح ٢ ص ٦٢٢ .
(٢) نفس المرجع ح ٢ ص ٦٠٨ .
(٣) سورة ق الآيات ١ ـ ٤ .
(٤) سورة الكهف الآيات : ٣٥ ـ ٣٧ .

نفسه إذ لو كان ممتنع الوجود لما وجد فى المرة الأولى فحيث وجد فى المرة الأولى علمنا أنه ممكن الوجود فى ذاته فلو لم يصح ذلك من الله تعالى لدل ذلك إما على عجزه حيث لم يقدر على إيجاد ما هو جائز الوجود فى نفسه أو على جهله حيث تعذر عليه تمييز أجزاء بدن كل واحد من المكلفين عن أجزاء بدن المكلف الآخر ومع القول بالعجز والجهل لا يصح إثبات النبوة فكان ذلك موجبا للكفر قطعا (١) :

ولو تتبعنا صفحات القرآن الكريم لو جدنا فيها من الآيات التى تدل دلالة واضحة على المعاد الجسمانى قال تعالى ﴿ ونُفخ في الصُور فصعق من في السَّموات ومن في الأرْض إلاَّ من شاء اللَّهُ ثُمَّ نُفخ فيه أُخرىٰ فإذا هم قيام ينظرُون ﴾ (٢) . وقال ﴿ وَنُفخَ في الصُّور فإذا هُم من الأجداث إلىٰ ربهم ينسلُون ﴾ (٣) .

ذلك هو مفهوم الحياة الأخرى التى تحدث عنها القرآن وهى التى أنكرها منكرو البعث وغيرهم ممن أشار إليهم وهى التى حكم عليهم القرآن بالكفر والضلال من أجل إنكارهم لها .

ونحن مع نصوص القرآن فى الحكم عليهم لأن نصوص القرآن واضحة جليَّة لا تحتاج إلى توضيح أكثر أو تأويل .

لذلك نقول : كيف نترك ما جاء به القرآن وهو كلام الله المتنزل على رسوله الأعظم ﷺ ونركن إلى العقل القاصر عن إدراك حقيقة نفسه والمتفاوت من إنسان لآخر .

---

(١) مفاتيح الغيب ـ الرازى م ١١ ج ٢١ ص ١٢٧ .
(٢) سورة الزمر الآية ٦٨ .
(٣) سورة يس الآية : ٥١ .

هذا ... مما يجعلني أقول مع الإمام الغزالى رحمه الله

إن إنكار المعاد الجسمانى كفر صريح والقول به لفائدة الشرائع وسد باب الاهتداء بنور القرآن واستبعاد للرشد من قول الرسول ، فإذا جاز عليهم الكذب لأجل المصالح كما يقول ابن سينا وابن رشد ومن سار على منوالهم بطلت الثقة بأقوالهم (١) .

الاتجاه الثالث : وهو الاتجاه الدينى

وهذا الاتجاه يقول : البعث بالروح والجسد معا :

يقول الإمام الرازى : اعلم أن كثيرا من المحققين قالوا بهذا القول وذلك لأنهم أرادوا الجمع بين الحكمة والشريعة فقالوا دل العقل على أن سعادة الأرواح في معرفة الله وفى محبته ، وعلى أن سعادة الأجساد فى إدراك المحسوسات (٢) .

يقول التفتازانى : وعند المحققين كالغزالى والحليمى والراغب والقاضى وأبى زيد : أن البعث روحانى وجسمانى معا (٣) وبهذا الرأى قال الإمام الإيجى وغيره .

وإذا كان الإمام الإيجى (٤) والإمام التفتازانى وغيرهما من المتكلمين قد ذكروا عددا من علماء الكلام قالوا بهذا مما يجعلنا نتعرض لآراء علماء الكلام الذين قالوا بهذا فى كتبهم حتى يتضح لنا صدق من أشاروا إليهم نتعرض للإمام الراغب والإمام الغزالى فقط خشية الإطالة أولا وثانيا لعدم توفر مراجع كل الذين قالوا بهذا .

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص .
(٢) الأربعين - الرازى ج ٢ ص ٧١ .
(٣) شرح المقاصد ج ٥ ص ٨٨ .
(٤) المواقف - الموقف السادس ص ٢٢٨ .

يقول الراغب : لما أراد الله أن يقرب معرفة تلك اللذات من أفهام الكافة شبهها ومثلها لهم بأنواع ما تدركها حواسهم فقال ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (١) ليبين للكافة طعمها بما عرفوه من طيب المطاعم وقال ﴿ مثل الجنه ﴾ ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على أن ذلك تصوير وتمثيل ، فالإنسان وإن اجتهد ما اجتهد أن يطلع على تلك السعادة فلا سبيل إليها (٢) أى فلا سبيل للوصول إلى تلك السعادة على حقيقتها فى الدنيا بفعل اجتهاده .

ويقول : إن الموت المتعارف الذى هو مفارقة الروح للبدن هو أحد الأسباب الموصِّلة للإنسان إلى النعيم الأبدى ، وهو انتقال من دار إلى دار (٣) .

ومما نلاحظه : أن الراغب لم ينكر المعاد الجسمانى وإنما هو من المبالغين فى نعيم الروح وعذابها ومثله فى ذلك كمثل الإمام الغزالى من المتكلمين وابن سينا من الفلاسفة .

أما عن الإمام الغزالى فهو يقرر أن النفس جوهر ويستدل على ذلك بأن الألم الذى يحل بالجسد فلأجل النفس .

يقول الغزالى : خطابات الشرع تدل على أن النفس جوهر ، وكذلك العقوبات الواردة فى الشرع بعد الممات تدل على أن النفس جوهر ، فإن الألم وإن حل بالبدن فالأجل النفس (٤) .

ثم يقرر أن جميع الأنبياء شرحوا أحوال الآخرة على أكمل وجه

---

(١) سورة محمد الآية ١٥ .

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهانى ص ٣٧ط نور الأمل القاهرة.

(٣) المرجع السابق ص ٥٨ .

(٤) معارج القدس ص ٢٣ ط دار الأفاق - بيروت .

لاسيما فى الشريعة الأخيرة من تقرير أحوال المعاد الروحانى الجسمانى (١) .

ومن الملاحظ أن حديث الراغب والغزالى عن النفس وعن كونها جوهرا مجردا قد يوافق رأى الفلاسفة فى النفس ، إلا أنهما لا يقولان بوجودها دون البدن أو بقدمها . بل يقولان بحدوثها .

وحتى لو قالا بوجودها قبل البدن فهذا القول يوافق آيات من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا .. ﴾ (٢) .

فواضح من الآية أن الله تعالى جمع أرواح البشر قبل خلق الأجساد وذلك فى عالم الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ، أى أخذ عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا بوجود الخالق وبوحدانيته ، ومع ذلك فهى غير قديمة لانتفاء مشاركة الله تعالى فى القدم .

وإذا كان الإمام الرازى والإمام الأيجى والإمام التفتازانى قد أشاروا إلى أن الراغب والغزالى وغيرهما من القائلين بحشر الروح والجسد معا فهم أيضا من المحققين القائلين بذلك ولكل منهم دليل .

أما عن الإمام الرازى فقال :

الاستقراء دل على أن الجمع بين هاتين السعادتين فى الحياة الدنيوية غير ممكن ، وذلك لأن الإنسان حال كونه مستغرقاً فى تجلى علم الغيب لا يمكنه الالتفات إلى شئ من اللذات الجسمانية وحال كونه مشغولا باستيفاء اللذات الجسمانية لا يمكنه الالتفات إلى اللذات الروحانية لكن هذا الجمع

---

(١) نفس المرجع .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٧٢ .

إنما يتعذر لأجل أن الأرواح البشرية ضعيفة فى هذا العالم فإذا مات واستمدت هذه الأرواح من عالم القدس والطهارة قويت وكملت فإذا أعيدت إلى الأبدان مرة أخرى لم يبعد أن تصير هناك قوة قادرة على الجمع بين الأمرين ولا شك أن هذه الحالة هى الغاية القصوى فى مراتب السعادات (١) .

وهذا المعنى لم يقم على امتناعه برهان عقلى وهو جمع الحكمة النبوية والقوانين الفلسفية فوجب المصير إليه وأما معرفة تفاصيل هذه الأحوال فمما لا سبيل إليها فى هذا العالم (٢) .

وأما عن الإمام الايجى فقال

عود البدن ممكن والله قادر إذن حشر الأجساد ممكن (٣) .

وقال : الصادق أخبر عنه ـ أى عن حشر الأجساد ـ وكل ما أخبر به الصادق فهو حق فالحشر حق (٤) .

أما عن الإمام التفتازانى فقال :

إنَّ المعتمد فى إثبات حشر الأجساد دليل السمع والمفصح عنه غاية الإفصاح من الأديان دين الإسلام ومن الكتب القرآن ومن الأنبياء محمد ﷺ .

أما عن تقرير دليل السمع فهو كما يلى :

إن الحشر والإعادة أمر ممكن أخبر به الصادق فيكون واقعا، أما

(١) ذا الأربعين ـ الرازى ـ ح ٢ ص ٧١ ـ ٧٢ .
(٢) نفس المرجع ص ٧٢ .
(٣) المواقف ـ الموقف السادس ح ٢ ص ٣٧٢ .
(٤) نفس المرجع .

الإمكان فلأن الكلام فيما عدم بعد الوجود أو تفرق بعد الاجتماع أو مات بعد الحياة فيكون قابلا لذلك والفاعل هو الله القادر على كل الممكنات ، والعالم بجميع الكليات والجزئيات .

وأما الأخبار فلما تواتر من الأنبياء لا سيما نبينا ﷺ أنهم كانوا يقولون بذلك وما ورد في القرآن من نصوص لا يحتمل أكثرها التأويل (١) .

ثم أخذ الإمام التفتازاني يسرد بعض من هذه النصوص منها قوله تعالى ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ (٣) وقال ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٤) وقال ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (٥) وقال ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ (٦) .

إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على ذلك ، وبالجملة فإثبات الحشر من ضروريات الدين . وإنكاره كفر بيقين .

فإن قيل : الآيات المشعرة بالمعاد الجسماني ليست أكثر وأظهر من الآيات المشعرة بالتشبيه والجبر والقدر ونحو ذلك ، وقد وجب تأويلها قطعا فلنصرف هذه أيضا إلى بيان المعاد الروحاني وأحوال سعادة النفوس وشقاوتها بعد مفارقة الأبدان على وجه يفهمه العوام فإن الأنبياء مبعوثون

---

(١) شرح المقاصد ج ٥ ص ٩١ ـ ٩٢ بتصرف بسيط .
(٢) سورة يس الآيتان ٧٨ ـ ٧٩ .
(٣) سورة يس الآية ٥١ .
(٤) سورة الإسراء الآية ٥١ .
(٥) سورة القيامة الآية ٣ ـ ٤ .
(٦) سورة النساء الآية ٥٦ .

إلى كافة الخلائق لإرشادهم إلى سبيل الحق وتكميل نفوسهم بحسب القوة النظرية والعملية وتبقية النظام المفضى إلى صلاح الكل وذلك بالترغيب والترهيب بالوعد والوعيد والبشارة بما يعتقدونه لذة وكمالا والإنذار عما يعتقدونه ألما ونقصانا وأكثرهم عوام تقصر على ما لقوه من اللذات والآلام الحسية وعرفوه من الكمالات والنقصانات البدنية فوجب أن تخاطبهم الأنبياء بما هو مثال للمعاد الحقيقى ترغيبا وترهيبا للعوام وتتميما لأمر النظام (١).

قلنا ، إنما يجب التأول عند تعذر الظاهر ، ولا تعذر ههنا لا سيما على القول بكون البدن المعاد مثل الأول لا عينه، وما ذكرتم من حمل كلام الأنبياء ونصوص الكتاب على الإشارة إلى مثال معاد النفس والرعاية لمصلحة العامة نسبة للأنبياء إلى الكذب فيما يتعلق بالتبليغ والقصد إلى تضليل أكثر الخلائق والتعصب طول العمر لترويج الباطل وإخفاء الحق لأنهم لا يفهمون إلا هذه الظواهر التى لا حقيقة لها عندكم نعم لو قيل إن هذه الظواهر مع أرادتها من اللّه أو ثبوتها فى نفس الأمر مثل للمعاد الروحانى واللذات والآلام العقلية ، وكذا أكثر ظواهر القرآن على ما يذكره المحققون من علماء الإسلام لكان حقا لا ريب فيه ولا اعتداد بمن ينفيه (٢) .

الاتجاه الرابع :

وهو الاتجاه الذى اختار التوقف فى أمر البعث وهذا الاتجاه ينسب لجالينوس

إن جالينوس قد اختار التوقف فى هذه المسألة ولم يقطع برأى وسبب توقفه التردد فى أمر النفس هل هى هذا المزاج فينتهى بالموت وحينئذ لا

---

(١) شرح المقاصد ـ التفتازانى ح ٥ ص ٩٣ وراجع فى ذلك النفس والعقل د / محمود قاسم ص ٧٥ ـ ٧٦ مكتبة الأنجلو العربية سنة ١٩٦٩.
(٢) شرح المقاصد ح ٥ ص ٩٣ .

يعاد ثانية ، أم أن النفس جوهر باق بعد الموت فيعاد ، وهذا التوقف من جالينوس يعتبر شكا صريح .

يقول جالينوس لم يظهر لى أن النفس شئ غير المزاج وبتقدير أن تكون النفس هى المزاج فعند الموت تصيرالنفس فانية معدومة والمعدوم لا يمكن إعادته (١) .

وأما بتقدير أن تكون النفس جوهرا باقيا بعد فساد كان المعاد ممكنا ، ولما لم يتبين عنده أن النفس هل هى المزاج بعينه أو شئ غيره . لا جرم توقف فيه (٢) .

وبالتأمل في توقف جالينوس نجد أن موقفه إنما هو فى مسألة المعاد الروحانى ، أما الجسمانى فهو ينكره قطعا لأنه لا يجوز إعادة المعدوم وهو يجزم بانعدام الجسم وفنائه ، وإن كان يتردد فى انعدام النفس بناء على تردده فى مفهومه وحقيقتها ، فهو إذًا يتخذ موقفا إيجابيا فى مسألة حشر الأجساد حيث ينكرها ويتوقف فى معاد النفس لتوقفه فى حقيقتها هل هى المزاج أم الجوهر غير أن ابن حزم ذكر عن جالينوس أنه يرى أن النفس عرض من الأعراض هو مزاج مجتمع متولد من تركيب أخلاط الجسد (٣) .

وبذلك يوافق أصحاب الاتجاه الأول وأيا كان الأمر فإن جالينوس لا يشكل اتجاها مستقلا فى قضية البعث ولذلك نلاحظ أن ابن سنا قد أهمله عند تعدده للمذاهب (٤) وكذلك الغزالى أهمله ، حيث ذكر الطوائف المختلفة فى مسألة المعاد ولم يذكره (٥) .

---

(١) الأربعين - الرازى ح ٢ ص ٥٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) الفصل لابن حزم ح ٥ ص ٧٤ .

(٤) راجع رسالة أضحوية لابن سينا ص ٣٨ وما بعدها .

(٥) راجع ميزان العمل - الغزالى ص ١٣٠ وما بعدها ط مكتبة الجندى للطبع والنشر .

الفصل الثالث

إعادة المعدوم
بين
المتكلمين والفلاسفة

الفصل الثالث

إعادة المعدوم بين المتكلمين والفلاسفة

المعاد في اللغة :

المعاد بالفتح ، المرجع والمصير والآخرة معاد الخلق (١) .

والقرآن الكريم أشار إلى هذا المعنى قال تعالى ﴿إنَّ الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ (٢) أى باعثك إلى معاد .

أما في الاصطلاح

فهو توجه الشيء إلى ما كان عليه ، والمراد هنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء ، أو رجوع أجزاء البدن إلى الإجتماع بعد التفرق وإلى الحياة بعد الممات والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة (٣) .

ويقول الإمام التفتازاني : المعاد : هو أن يبعث الله تعالى الموتى من قبورهم بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها (٤) .

وهذا تعريف عام يشمل المعاد الروحاني والجسماني معا سواء أكانت الإعادة من عدم أو تفرق .

أراء الفلاسفة والمتكلمين حول إعادة المعدوم .

اتفق جمهور المتكلمين من الأشاعرة على جواز إعادة المعدوم وذهب الفلاسفة والكرامية وأبو الحسين البصرى من المعتزلة إلى أن إعادة المعدوم مستحيلة .

---

(١) مختار الصحاح - الرازى ص ٤٦٠ .
(٢) سورة القصص الآية ٨٤ .
(٣) شرح المواقف ج ٨ ص ٢٨٩ .
(٤) شرح العقائد النسفية ص ١١٤ ط دار إحياء الكتب العربية .

أما باقى المعتزلة فذهبوا إلى جواز إعادة الجواهر إذا عدمت لكن بناء على بقاء ذواتها فى العدم لأن المعدوم عنده شئ فإذا عدم الموجود عندهم بقيت ذاته المخصوصة فيمكن إعادتها ثانية واختلفوا فى الأعراض (١) وهذا هو ما نتعرف عليه أثناء عرض أراءهم .

مذهب الأشاعرة

يرى الأشاعرة أن المعاد، وهو إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم فى صورة بدنية ورد الأرواح إلى هذه الأجسام ممكن عقلا وشرعا .

يقول الإمام الرازى : وأما أصحابنا ، فإنهم يقولون (الشئ إذا عدم فقد بطلت ذاته وصار نفيا محضا وعدما صرفا ولم تبق له حال العدم هوية ولا خصوصية ، ثم إنهم مع هذا المذهب قالوا إنه لا يمتنع فى قدرة الله إعادته بعينه ، وهذا القول لم يقل به أحد من طوائف العقلاء إلا أصحابنا (٢) .

ويقول إمام الحرمين كل حادث عدم فإعادته جائزة ولا فرق بين أن يكون جوهرا أو عرضا (٣) ويقول الإمام الايجى : المعاد الجسمانى يتوقف عليها عند من يقول بإعدام الأجسام دون من يقول بأن فنائها عبارة عن تفريق أجزائها واختلاط بعضها ببعض كما يدل على قصة إبراهيم فى إحياء الطير وهى جائزة عندنا (٤) .

أدلة الأشاعرة :

الدليل الأول :

يستدلون على إمكانه عقلا بقولهم ، المعدوم قابل للوجود والعدم وكل ما

(١) النبوات والسمعيات د / محى الدين الصافى ص ٨٧ ط دار الطباعة المحمدية .
(٢) الأربعين ـ الرازى ح ٢ ص ٣٩ .
(٣) الإرشاد لإمام الحرمين ص ٣٧١ .
(٤) المواقف ـ الموقف السادس ص ٢٢٢ ط المطبعة العامرة .

كان قابلا لذلك كان ممكنا لذاته ، بمعنى أن ذاته قابله للوجود والعدم وحيث إن ذاته قابلة للوجود والعدم إذا فلا يترجح أحدهما على الأخر إلا بمرجح .

يقول الإمام الرازى : إن الإمكان إنما ثبت بالنظر إلى القابل أو الفاعل وهما حصلان أما بالنظر إلى القابل فلأن قبول الجسم الأعراض الفاعلية أمر ثبت له بذاته وما كان حاصلا أبدا فذلك القبول حاصل أبدا (١) .

إذن هذا الإنسان القابل لذاته أى من الممكن لذاته لو أمتنع وجوده لذاته لكان مستحيل الوجود لكنه وجد إذن فهو ممكن والممكن قابل للأمرين ، والفاعل هو الله وهو قادر قدرة شاملة لأن ممكن الممكنات لا يعجز شئ ، والقابل يقبل كل شئ من صفات الممكنات أى يقبل الوجود والعدم ، والله سبحانه وتعالى أوجدنا من العدم بقدرته فهو إذن بقدرته قادر على الإعادة .

ثم يقول وأما بالنظر إلى الفاعل فلأنه تعالى بدأ بأعيان جزء كل شخص لكونه عند بالجزيئات أو قادرا على جمعها وخلق الحياة فيها لكونه قادرا على كل الممكنات ، وإذا كان كذلك كانت الإعادة ممكنة (٢) .

الدليل الثانى :

وهو للإمام التفتازانى

حيث استدل بدليل إقناعى ودليل إلزامى

أما الدليل الإقناعى : فهو أن إعادة المعدوم لم يقم دليل على وجوبها أو امتناعها وكل ما كان كذلك فهو ممكن إذًا إعادة المعدوم ممكنة .

وهذا ما قاله الحكماء : إن كل ما سمعته من الغرائب فاحكم عليه

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢٣٢ للإمام الرازى .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

بالإمكان حتى يقوم دليل برهاني على وجوبه أو امتناعه ، ونحن نقول : إن إعادة المعدوم ممكنة فمن منع ذلك من الفلاسفة فعليه البرهان .

أما الدليل الإلزامي فنظمه هكذا :

لو امتنعت إعادة المعدوم لأدى ذلك إلى المحال وكل ما أدى إلى المحال فهو محال إذًا امتناع إعادة المعدوم محال (١) .

الدليل الثالث :

وهو للإمام الايجي

قال : لنا في جواز الإعادة أنه لا يمتنع وجوده الثاني لذاته ولا للوازمه وإلا لم يوجد ابتداء بل كان من قبيل الممتنعات لأن مقتضى ذات الشئ أو لوازمه لا يختلف بحسب الأزمنة وإذا لم يمتنع كذلك كان ممكنا بالنظر إلى ذاته وهو المطلوب (٢) .

الدليل الرابع

للإمام الرازي

يقول الإمام الرازي : إن الشئ إذا صار معدوما فإنه بعد العدم بقي جائز الوجود والله تعالى قادر على جميع الجائزات فوجب القطع بكونه تعالى قادرا على إعادته بعينه بعد العدم (٣) .

وإنما قلنا إنه بعد عدمه بقي جائز الوجود لأنه قبل عدمه جائز الوجود وهذا الجواز إما أن يكون من لوازم حقيقته ، وإما أن يكون من عوارض حقيقته فإن كان من لوازم حقيقته وجب ألا يزول ، وإن كان من عوارض

(١) النبوات والسمعيات د / محي الدين الصافي ص ٨٨ .
(٢) المواقف ـ الموقف السادس ص ٢٢٢ .
(٣) الأربعين ـ الرازي ح ٢ ص ٤٠ .

حقيقته كانت تلك الحقيقة بحيث يجوز عليها ذلك الجواز فينتقل الكلام إلى جواز الجواز ولا يتسلسل بل ينتهي بالآخرة إلى جواز هو من لوازم الحقيقة، وهذا نقيض حصول هذا الجواز حالتى الوجود والعدم فثبت بهذا أن الجواز حاصل أبدا ، وأما أنه تعالى قادر على كل الجائزات فقد علم ، ويلزم من مجموع الأمرين كونه تعالى قادرا على إعادة المعدوم (١) .

الدليل الخامس

وهو للإمام السنوسى

يقول الإمام السنوسى :اجمع أهل الحق على أن الله تعالى يحيى الأبدان بعد موتها والدليل عليه ، أن الإعادة إما أن تكون بمعنى إعادة الجواهر بعد عدمها أو بمعنى ضمها وجمعها بعد تدبيرها وكلاهما ممكن وكل ممكن أخبر الصادق بوقوعه فهو حق فالإعادة حق .

وإنما قلنا: إن الإعادة بالمعنى الأول ممكنة لأن ماهية الجواهر والأعراض تقبل الوجود والعدم لما عرفت أن القبول لا يكون إلا نفسيا ، وذواتها لا تنقلب بعد عدمها فكما قبلت الوجود والعدم إبتدأ تقبلها انتهاءًا وإنما قلنا إنها تقبل الوجود والعدم لأنها لو لم تقبل إلا الوجود لكانت قديمة واجبة الوجود وهو باطل ، ولو لم تقبل إلا العدم لكنت مستحيلة الوجود(٢).

وأما إمكان الإعادة بالمعنى الثانى ، وهو جمع الأجزاء بعد تفريقها وخلق الحياة فيها فواضح هذا إذا نظرنا إلى الإعادة بحسب قابلها ، وإن نظرنا إليها بحسب فاعلها وهو الله جلا وعلا فلا خلاف أن قدرته لا يتعاصى عليها

---

(١) المرجع السابق .

(٢) شرح السنوسية الكبرى ، للإمام السنوسى تحقيق د / عبد الفتاح عبد الله بركه ص ٣٩٤ - ٣٩٥ دار القلم الكويت .

ممكن وعلمه محيط بكل شئ فلا تعذر إذاً لا من جهة القابل ولا من جهة الفاعل وإلى نفى التعذرين أشار القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) فنفى التعذر من جهة المعاد القابل بقوله . ﴿ أنشأها أول مرة ﴾ أى ذاته قابلة للوجود بدليل النشأة الأولى ويستحيل أن تنقلب الحقيقة من إمكان شئ إلى استحالته ونفى التعذر من جهة الفاعل بقوله ﴿ هو الخلاق ﴾ بصيغتى المبالغة وبقوله ﴿ أنشأها ﴾ .

ثم أرشد إلى الجواب عن شبه المنكرين ومن شبههم استبعاد الأجزاء إلى بدنها المخصوص بعد اختلاطها بغيرها كما قالوا ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ (٢) والجواب أنه تعالى عالم بجميعها غير عاجز عن تأليفها وخلق الحياة فيها كما قال تعالى ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ (٣) .

ومن شبههم أيضا أنها إذا صارت ترابا فقد تغير طبعها عن طبع الحياة التى هى الحرارة والرطوبة ، فرد على هذا الاستبعاد بقوله تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا . . . ﴾ (٤) .

وأما أن الصادق أخبر بوقوع هذا الممكن ، فهذا مما علم من الدين ضرورة (٥) .

رأى المعتزلة

لقد ذهب جمهور المعتزلة ما عدا أبو الحسين البصرى إلى جواز إعادة

(١) سورة يس الآية ٧٨ - ٧٩ .
(٢) سورة ق الآية ٣ .
(٣) سورة ق الآية ٤ .
(٤) سورة يس الآية ٨٠ .
(٥) شرح السنوسية الكبرى - ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

المعدوم بناء على مذهبهم القائلين فيه ، أن المعدوم فى حال عدمه له تقرر وثبوت ، فالمعدوم عندهم حال عدمه ليس نفيا صرفا بل هو حال عدمه متميز لأن له ثبوتا وتقررا وهذا معنى المعدوم شئ (١) .

يقول الكعبى : إن المعدوم شئ ومعلوم إلا أنه ليس بجوهر ولا عرض (٢) ويتفق معه عيش فى هذه النقطة فقال : إن الذوات المعدومه عارية من جميع الصفات لا تحصل إلا زمان الوجود (٣) .

وذهب النصيبى إلى أن المعدوم لا تثبت له صفة نفس ولا يوصف بكونه جوهرا ولا ينعت بكونه عرضا ولا يثبت شئ من أوصاف الأجناس غير أنه يسمى شيئ إطلاقا ولغة وإن لم يكن فى الحقيقة عينا وذاتا (٤) .

ومن الملاحظة أن أصحاب الأقوال السابقة لا يعترفون إلا بصفة واحدة للمعدوم ألا وهى صفة الشيئية .

ولكن لما كانت هذه الصفة مشتركة بين جميع الذوات المعدومة فكيف يمكن تمييز ذات عن الأخرى فى حال العدم وهى ذات بدون أعراض؟ بمعنى آخر أن قول هذا الفريق لا يفسر لنا كيف ومتى تضاف الأعراض إلى الماهيات ولا يوضح لنا هل هذه الأعراض كانت فى حالة كمون فى المعدوم ولا تظهر إلا عند الوجود أم أن الوجود يضيفها إلى المعدوم ؟ (٥) .

ومن أجل هذا نجد أن هناك فريق آخر من المعتزلة عدل عن هذه الأقوال السابقة فقال : إن المعدوم شئ وذات وعين وله خصائص .

---

(١) النبوات والسمعيات د / محى الدين الصافى ص ٨٧ .

(٢) الفرق بين الفرق - للإمام البغدادى ص ١١٤ .

(٣) شرح المواقف ح ٢ ص ٢١٤ .

(٤) الشامل فى أصول الدين الإمام الجوينى ص ١٢٤ .

(٥) قوانين الفكر بين الاعتقاد والإنكار د/ سعد الدين صالح ط المكتب العلمى الحديث للطباعة بالزقازيق ط ١ سنه ١٩٩٥ .

فقال الشحام من المعتزلة :إن المعدوم شئ وذات وعين وأثبت له خصائص ومتعلقات فى الوجود مثل قيام العرض بالجوهر وكونه عرضا ولونا ثم تابعه فى هذا أكثر المعتزلة (١) .

ثم زعم أبو على الجبائى وابنه أبو هاشم أن كل وصف يستحقه الحادث لنفسه أو لجنسه ، فإن الوصف ثابت له فى حال عدمه ، وزعم أن الجوهر كان فى حال عدمه جوهرا وكان العرض فى حال عدمه عرضا وكان السواد سوادا والبياض بياضا فى حال عدمهما إلا أنهم امتنعوا عن وصف المعدوم بالجسمية ، وهذا ما قاله الخياط فيما زعم أن المعدوم فى حال عدمه يكون جسما وقال كل وصف يجوز ثبوته فى حال الحدوث فهو ثابت له فى حال عدمه ، وقد أطلق على الخياطية المعدومية لإفراطهم بوصفهم المعدوم بأكثر أوصاف الموجود (٢) .

ومن الملاحظ أن المعتزلة يفرقون بين الجواهر والأعراض فى حالة الإعادة فذهبوا إلى جواز إعادة الجواهر إذا عدمت لكن كما قلت بناء على بقاء ذواتها فى العدم حيث إن الموجود عندهم كما عرفنا إذا عدم بقيت ذواته المخصوصة فيمكن إعادتها ثانية .

يقول القاضى عبد الجبار : إن القادر إذا ثبت كونه قادرا على الشئ من غير تخصيص بوقت فمتى صح وجود المقدر وصح فيه إعادته كما أن الجسم إذا صح أن يتحرك من غير تخصص بوقت فمتى صح أن يتحرك صح من القادر أن يحركه وكذلك متى صح فى الجسم أن يكون عالما صح

(١) نهاية الإقدام للإمام الشهر ستانى ص ١٥١ .

(٢) الفرق بين الفرق - للإمام البغدادى ص ١٦٤ ط دار الآفاق بيروت سنة ١٩٧٣ .

من القادر أن يجعله كذلك، وقد ثبت فى الجواهر أن القديم تعالى قادر عليها من غير تخصيص بوقت فيجوز أن يوجدها فى كل وقت صح أن توجد (١) . هذا بالنسبة للجواهر .

وأما الأعراض فإنهم يقسمونها إلى أقسام منها

١ - ما هو فى مقدور الرب .

٢ - ومنه ما هو فى مقدور الرب والعبد .

ما هو مقدور الرب فقط فهى التى يجوز إعادتها ولذلك يقول : لا خلاف فى أن ما يختص بالقدرة عليه يجوز عليه إعادتها فقط (٢) .

أما الأعراض التى هى فى مقدور العبد والرب معا فلا يجوز إعادتها لأنه يترتب على جواز إعادتها جواز إعادة العبد لكل مقدوراته وهذا باطل ، ولما كانت هذه الأعراض مقدوره للرب أيضا فلو قلنا يجوز إعادة الرب لها لكان فى ذلك تجويز لإمكان العبد فى إعادتها حيث إن جنسها واحد ، ولما بطل أن يقدر العبد على إعادتها فإنه أيضا لا يقدر على إعادتها وإلا اختلطت حقيقتها بين قادر وآخر وحيث إن الجنس واحد غير مختلف وثبت عدم مقدروية العبد فى الإعادة فإنه يثبت عدم مقدورية الرب على الإعادة أيضا ، وقد انبنى على جواز إعادة الجواهر والأعراض التى هى فى مقدور الرب فقط صحة جواز البعث (٣) .

شبه المعتزلة

لقد استدل المعتزلة على مدعاهم بعدة شبه نذكر منها .

---

(١) المغنى للقاضى عبد الجبار ج ١١ ص ٤٥١ .
(٢) المرجع السابق ج ١١ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .
(٣) نفس المرجع ج ١١ ص ٤٦٥ .

الشبهة الأولى :

قالوا فيها إن المعدوم متميز وكل متميز ثابت فالمعدوم ثابت ودليل الصغرى من وجوه ثلاثة :

أحدها : أن المعدوم معلوم متميز أما أنه معلوم فلأن طلوع الشمس غدا معلوم الآن وهو معدوم .

وأما أن المعلوم متميز فلأن الإنسان يستطيع أن يميز بين الحركة التى يقدر عليها كالسير يمينا أو يسارا وبين الحركة التى لا يقدر عليها كالطيران بالنسبة للإنسان فهى معلومة ومتميزة ومعدومة .

ثانيها : أن المعدوم مقدور متميز عن غير المقدور ، فإنى الآن قادر على الحركة يمينا وشمالا وغير قادر على الصعود إلى السماء ..

ثالثها : أن المعدوم مراد فيتميز عن غير المراد فالواحد منا يريد شيئا ويكره شيئا آخر وإن كان المراد والمكروه معدومين ولولا تميز المراد من المكروه قبل الوجود لاستحال أن يكون أحدهما مرادا والآخر مكروها فثبت بهذا أن المعدومات الممكنة متميزة (١) .

وأما دليل الكبرى فلأن التميز عند العقل لا يتصور إلا بالإشارة العقلية بهذا وذلك ، والإشارة تقتضى ثبوت المشار إليه ضرورة امتناع الإشارة إلى النفى الصرف (٢) .

الجواب :

نلاحظ فى هذه الشبهة أن المعتزلة يقولون بتميز المعدوم وهذا التميز

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للإمام الرازى ص ٣٦ .

(٢) شرح المقاصد ـ الإمام التفتازانى ج ١ ص ٨٤ .

يستلزم ثبوته مستشهدين على ذلك بأنه معلوم والمعلوم متميز لكن قولهم هذا مردود ومعارض بأمور كثيرة منها ما وافقونا عليه كالممتنعات فإن بعضها - متميز عن بعض وكاجتماع الضدين والمستحيلات كبحر من زئبق وجبل من ياقوت فإن بعضها متميز عن بعض ولا ثبوت لها اتفاقا (١) .

فثبت بهذا أن لتميز الذهنى لا يستدعى تحقق الماهيات خارج الذهن وإلا للزم إثبات شريك لله تعالى معدوم هو شئ ، وهذا خروج عن الدين . . ثم زعم أبو هاشم أن هذا ضرب من العلم لا معلوم له وهذا تناقض لا يقول به عقل (٢) أو على حد قول إمام الحرمين : نهاية من الجهل لا يبلغها محصل فإن من زعم أنه لا شريك لله وأن لا شريك له غير معلوم لى ناقض فى القول مناقضة لا يأتيها محقق وكل مذهب يقود صاحبه إلى هذا المحال فهو فاسد من أصله (٣) .

وأما قولهم المعدوم مقدور والمقدور متميز فضعيف ، لأن المقدور إما أن يكون ثابتا فى العدم أو لا يكون فإن كان ثابت لم يكن للقدرة فيه تأثير البتة لأن إثبات الثبات محال ، وإذا كان كذلك استحال أن يكون مقدورا وإن لم يكن ثابتا كان ذلك اعترافا بأن المقدور غير ثابت وحينئذ لا يمكنهم الاستدلال بكونه مقدورا على كونه ثابتا (٤) .

وهذا هو ما أشار إليه الرازى بقوله : إن الذى يمكن جعله مقدورا استحال القول بكونه ثابتا فى العدم والذى يمكنه القول بكونه ثابتا فى العدم استحال القول بكونه مقدورا للقادر (٥) .

---

(١) شرح المواقف ح ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) قوانين الفكر بين الاعتقاد والانكار د / سعد الدين صالح ص ٣٥٩ .

(٣) الشامل فى أصول الدين ص ١٢٨ .

(٤) قوانين الفكر د / سعد الدين صالح ص ٣٥٩ .

(٥) الأربعين للإمام الرازى ص ٦٧ ط حيدر آباد سنه ١٣٥٣هـ .

وهذا هو الجواب أيضا عن قولهم أن المعدوم مراد وكل مراد ثابت فإن كل ما يدل على نفس المقدورية يدل على نفس المرادية أيضا .

الشبهة الثانية :

قالوا إن المعدوم الممكن متميز عن الممتنع ولا يجوز أن يكون الامتناع وصفا ثبوتيا وإلا كان الموصوف به ثابتا ، فيكون الممتنع الثبوت واجب الثبوت هذا خلف ، وإذا لم يكن الامتناع ثبوتيا كان الإمكان ثبوتيا ضرورة لأنه لابد فى المتناقضين من كون أحدهما ثبوتيا والآخر سلبيا(١) والموصوف بالوصف الثبوتى ثابت فالمعدوم الممكن ثابت (٢) .

الجواب

هو أن نقول : إن الذى يمكن جعل الإمكان وصفا له لا يعقل إثباته فى العدم وما يمكن إثباته فى العدم لا يمكن جعل الإمكان وصفا له، وبيان ذلك: أنهم قالوا الإمكان صفه موجودة حاصلة قبل الوجود ، وذلك يستلزم تحقق الماهية قبل الوجود مع أن الإمكان ليس أمرا ثبوتيا وإنما هو أمر اعتبارى ويدل على ذلك أمور منها .

١ ـ أنكم سلمتم أن الشئ قبل حدوثه ممكن الوجود فلو كان الإمكان صفة موجودة لكان إما أن يكون قائما بذلك الشئ أو بغيره ومستحيل أن يكون قائما بذلك الشئ وإلا للزم قيام الموجود بالمعدوم ولا يمكن أن يقوم بغيره لأن صفة الشئ لا يعقل قيامها بغيره .

٢ ـ أن إتصاف الماهية بإمكان الموجود سابق على اتصافها بالوجود فلو

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ـ للإمام الرازى ص ٣٦ .
(٢) قوانين الفكر بين الاعتقاد والانكار د / سعد الدين صالح ص ٢٥٧ .

كان الإمكان صفة موجودة لزم أن يكون اتصاف الماهية بوجود شئ آخر سابقا على اتصافها بوجود نفسها وهو محال عقلا (١) .

فثبت بهذا أن الإمكان ليس أمرا موجود وإنما هو أمر اعتبارى وحينئذ لا يمكنهم الاستدلال بالإمكان على كون الممكن ثابتا فى العدم (٢) .

الشبهة الثالثة :

وقد استدل المعتزلة على أن المعدوم شئ بأدلة من القرآن قال تعالى ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (٣) .

حيث سمى الأمر الذى سيفعله غدا فى الحال باسم الشئ وذلك يقتضى أن يكون المعدوم شئ (٤) .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٥) فقد أخبر الله عز وجل بأن الزلزلة شئ وهى معدومة (٦) .

الجواب

أما عن الآية الأولى فأقصى ما فيها هو إطلاق اسم الشئ على المعدوم وذلك لا يقتضى كون المعدوم ذاتا وماهية كما يدعون بل قال الإمام الآمدى بأن معنى الآية (ولا تقولن لشئ إنى فاعل) أى فاعل غدا شيئا إلا أن يشاء الله

كما أن هذه الآية معارضة بنحو قوله تعالى ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك

(١) الأربعين فى أصول الدين ـ للإمام الرازى ص ٥٢ ط حيدر آباد .
(٢) قوانين الفكر بين الاعتقاد والانكار د / سعد الدين صالح ص ٢٦٠ .
(٣) سورة الكهف الآية ٢٣ ـ ٢٤ .
(٤) الأربعين للإمام الرازى ص ٦٤ .
(٥) سورة الحج رقم ١ .
(٦) الفصل لابن حزم ج ٥ ص ٤٢ .

شيئا ﴾ (١) وقوله ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (٢) فيلزمهم على هذا إن كان المعدوم شيئا أن يكون مخلوقا وهم يعترفون إن المخلوق موجود ، وقد وجد وقتا من الدهر فيكون مخلوقا موجودا معدوما ، وهذا خلط وتناقض لازم لكلامهم ، وإذا كانت الآية تقول فى صراحة إن الإنسان لم يكن قبل خلقه شيئا فإن المعتزلة يريدون أن نترك الآية جانبا بحجة أن العقل يخبرنا أنه كان شيئا وبذلك خرجوا على صريح العقل ووضوح النقل معا (٣) .

وهذه هى عاقبة الثقة المطلقة التى أعطوها لعقولهم بلا حدود وجعلوا منها سلطانا ومهيمنا على كلام رب العالمين (٤) .

وأما عن الآية الثانية التى استدلوا بها وهى قوله تعالى ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٥) فإنها موصولة بقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (٦) فإن الكلام قد تم عند قوله يوم ترونها فيكون المعنى ، أن زلزلة الساعة يوم ترونها شئ عظيم ولم تقل الآية أنها الآن شئ عظيم - ثم أخبر تعالى عما يكون يومئذ من ذهول المرضعات ووضع الأحمال وغير ذلك من مشاهد القيامة التى عرضتها الآية (٧) .

---

(١) سورة مريم الآية ٩ .
(٢) سورة الإنسان الآية (١) .
(٣) غاية المرام فى علم الكلام - للإمام الآمدى ص ٢٨١ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧١م .
(٤) قوانين الفكر د / سعد الدين ص ٣٦٢ .
(٥) سورة الحج الآية (١) .
(٦) سورة الحج الآية (٢) .
(٧) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ح ٥ ص ٤٢ ط المطبعة الأدبية بمصر ط ١ سنة ١٩١٧م .

إذا فزلزلة الساعة تكون شيئا فى وقت وجودها وليس فى وقت عدمها ، وإذا كان المعتزلة قد انحرفوا عن منهج القرآن الذى قرر فى وضوح أن المعدوم ليس شيئا فإنهم انحرفوا أيضا عن منهج العقل وخرجوا على قوانين الفكر فقد قتلوا أنفسهم بسلاحهم أو قتلهم سلاحهم وتخلى عنهم حينما تخلو عن منهج القرآن الذى هو منهج العقل الخالص (١) .

وبهذه الشبهة الثالثة أكون قد تناولت أقوى شبه المعتزلة على أن المعدوم شئ وثابت له ذات حال العدم ، وتناولنا مناقشتها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ومن خلال مناقشتنا تبين لنا أن العقل السليم يدرك ضعف هذه الشبه بأدنى لمحة .

مذهب الفلاسفة

ذهب الفلاسفة والكرامية وأبو الحسين البصرى من المعتزلة إلى أن إعادة المعدوم مستحيلة (٢) .

يقول التفتازانى : والمنكرون لإعادة المعدوم - منهم من ادعى الضرورة مكابرة ومنهم من تمسك بوجوه (٣) .

ويقول الايجى : الخصم - أى المنكرون لإعادة المعدوم - يدعى الضرورة تارة ويلتجأ إلى الاستدلال أخرى (٤) .

أما الضرورة فمن وجوه :

الأول : قالوا تخلل العدم بين الشئ ونفسه محال بالضرورة ، إذ لابد للتخلل من طرفين متغايرين ، فيكون حينئذ الوجود بعد العدم غير الوجود

---

(١) قوانين الفكر بين الاعتقاد والانكار د / سعد الدين صالح ص ٣٦٣ .
(٢) النبوات والسمعيات د / محى الدين الصافى ص ٨٧ ط دار الطباعة المحمدية .
(٣) شرح المقاصد ج ٥ ص ٨٤ .
(٤) المواقف - الموقف السادس ص ٢٢٣ .

قبله حتى يتصور تخلل العدم بينهما وعلى هذا فلا يكون المعاد هو المبتدأ بعينه لأن محلاً منهما موجود بوجود مغاير لوجود صاحبه فهما موجودان متغايران فلا يكون الموجود الأول بعينه معادا بعد عدمه .

والجواب

أنه لا معنى لتخلل العدم هنا سوى أنه كان موجودا زمانا ثم زال عن ذلك الوجود فى زمان آخر ثم اتصف به فى زمان ثالث ومن هذا تبين أن التخلل بحسب الحقيقة إنما هو لزمان العدم زمانى الوجود الواحد (١) .

الثـانى : لو جاز إعادته بجميع مشخصاته لجاز إعادة وقته الأول فيكون مبتدأ من حيث أنه معاد وفيه جمع بين المتقابلين .

الجواب

نقول إن الوقت ليس من جملة المشخصات فإنا قاطعون بأن هذا الكتاب هو بعينه كان بالأمس حتى أن من زعم خلاف ذلك نسب إلى السفسطة (٢).

ومن هنا نقول لقد منع التفتازانى أن يكون الوقت من جملة العوارض واستدل على ذلك بأن القدرة تحكم بأن الكتاب الموجود الآن هو نفس الموجود قبل عام مضى .

وإعادة المعدوم إنما هى إعادة له بجميع أجزائه الأصلية والتى من أول العمر إلى آخره ، والوقت من العوارض الغير شخصية .

لذلك يقول السعد - وتغاير الاعتبارات والإضافات لا ينافى الوحدة

(١) نفس المرجع ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ط المطبعة العامره .

(٢) شرح المقاصد ح ٥ ص٨٤ - ٨٦ وراجع علم التوحيد فى ضوء الفصل والنقل د/ مبارك حسن ص ٥٩٨ وما بعدها ط مطبعة الأمانة .

لشخصية بحسب الخارج، فالإنسان بذاته من غير هذه الاعتبارات والإضافات (١) .

الثالث : أن المعدوم لا إشارة إليه فلا حكم عليه

الجواب

بعد تسليم عدم ثبوت المعدوم نقول إن التمييز والثبوت عند العقل كاف لصحة الحكم ، كما يقال المعدوم ممكن أن يوجد

ونفهم من كلام الإمام التفتازانى أن هذا المعدوم وإن كان بالفعل لا إشارة تدل عليه إلا أن العقل يكفى لصحة الحكم عليه وعلى وجوده ، إذ لا مانع من وجوده وطالما أنه لا مانع فالعقل يحكم بصحة وجوده .

أما الاستدلال فمن وجوه أيضا

لقد ذكر الإمام الايجى وجها واحد من وجوه الضرورة التى سبق ذكرها ونسبه إلى الفلاسفة ورد عليه بعكس غيره كالإمام التفتازانى فقد ذكر وجوه عديدة ونسبها إلى الفلاسفة أيضا ولم يذكر الإمام الرازى إلا وجوه استدل بها الخصم على إثبات مذهبه .

ومما نلاحظه أن : ـ أحد وجوه الضرورة للإمام التفتازانى قد ذكره الإمام الايجى فى المواقف وجعله دليلا للخصم ورد عليه رد جميلا هذا مما يجعلنى أذكره مرة أخرى من كتاب المواقف ونرد عليه لكن ضمن أوجه الاستدلال لا من ضمن وجوه الضرورة .

أدلة الفلاسفة ومن تبعهم فى عدم إعادة المعدوم

الدليل الأول

إنما يكون المعاد معادا بعينه إذا أعيد بجميع عوارضه ومنها الوقف الذى

---

(١) شرح المقاصد ج ٥ ص ٨٥ .

كان فيه مبتدأ فيلزم أن يعاد فى وقته الأول وكل ما وقع فى وقته الأول فهو مبتدأ فيكون حينئذ مبتدأ من حيث إنه معاد .

الجواب

إنما اللازم فى إعادة شئ بعينه إعادة عوارضه الشخصية والوقت ليس منها ضرورة إن زيد الموجود فى هذه الساعة هو بعينه الموجود قبلها بحسب الأمر الخارجى أى حسب الأمر المعتبر فى وجوده فى الخارج لا تفاوت ولا تغاير فى ذلك فلو كان الوقت من المشخصات المعتبرة فى وجوده خارجا لكان هو فى كل وقت شخص آخر وهو باطل قطعا .

وما يقال أنا نعلم بالضرورة أن الموجود مع قيد كونه فى هذا الزمان غير موجود مع قيد كونه قبل هذا الزمان فأمر وهمى والتغاير الذى يحكم به فى هذه الصورة إنما هو بحسب الذهن والاعتبار لا بحسب الخارج (١) .

الدليل الثانى

لو أمكن الإعادة وفرضنا إعادته بعينه والله قادر على إيجاد مثله مستأنفا بلا شبهة ، سفرضه أيضا موجود مع ذلك المعاد وحينئذ لا يتميز المعاد عن المستأنف ويلزم الإثنينيه بدون الامتياز بين ذينك الاثنين وهو ضرورى البطلان (٢) .

الجواب :

منع عدم التمايز حينئذ بين المعاد والمستأنف المذكورين بل يتمايزان بالهوية ، أى بالعوارض المشخصة مع الاتحاد فى الماهية كما يتمايز مبدأ

---

(١) المواقف ـ الموقف السادس ص ٢٢٤ ط مطبعة العامره .

(٢) المواقف ـ الموقف السادس ص ٢٢٥ .

عن مبدأ مع التمثل فى الحقيقة ، وكل اثنين متماثلين ، متمايزان بالهوية سواء أكان مبتدأين ، أو معادين ، أو أحدهما مبتدأ والآخر معاد (١) .

الدليل الثالث

قالوا الحكم الصحيح بأن هذا وجد الآن عين الأول يستدعى تميزه حال العدم وأنه - أى التميز حال العدم - محال لأن النفى الصرف لا يتصور له تميز وأما الشرطية فلأن صحة ذلك الحكم تستدعى اتصاف ذلك المعدوم حال عدمه بصحة العود إذ لو لم يتصف بصحة العود لما أمكن عوده فلا يصح ذلك الحكم عليه واتصافه بصحة العود يقتضى امتياز وإلا لم يكن ذلك الاتصاف أولى به من غيره (٢) .

ويمكن أن يصاغ هذا الدليل هكذا :

لو أعيد المعدوم بعينه للزم أن يتميز المعاد حال عدمه وبذلك نقول إن هذا الدليل يتكون من مقدمتين إحداهما كبرى والأخرى صغرى ، الكبرى مكونه من مقدم وتالى ، المقدم هو لو أعيد المعدوم بعينه ، والتالى هو للزم أن يتميز المعاد حال عدمه ، وصغرى وهى لكن التالى باطل (٣) .

الجواب

لهذا الدليل جواب من المعتزلة ومن الأشاعرة

فعلى أصل المعتزلة وهو أن المعدوم ليس نفيا صرف وإنما له تقرر وثبوت فيكون كلامهم باطل (٤) .

---

(١) نفس المرجع .

(٢) نفس المرجع .

(٣) راجع علم التوحيد فى ضوء العقل والنقل د / مبارك حسن ص ٦١٥ .

(٤) شرح المقاصد ج ٥ ص ٨٧ تحقيق د / عبد الرحمن عميره ط الكتب بيروت .

وأما على أصل الأشاعرة فنجد الإمام التفتازانى يقول : وعندنا أن التميز والثبوت عند العقل كاف فى صحة الحكم والاحتياج إلى الثبوت العينى إنما هو عند ثبوت الصفة له فى الخارج (١) .

ونجد الإمام الإيجى يقول : والجواب على أصلنا منع الشرطية لأنا نمنع استدعاءه أى استدعاء ذلك الحكم وصحته للتميز فى الخارج فإن صحة العود صفة اعتبارية هى إمكان الوجود بعد زواله فلا يكون الاتصاف بها مقتضيا للامتياز الخارجى بل التميز فى الخارج إنما يحصل حال الإعادة أعنى زمان الوجود الثانى ، وهو أى التميز الحاصل للمعدوم حال عدمه واتصافه بصحة العود أمر وهمى لا حقيقة له بحسب الخارج كالتميز الحاصل فى الممكنات التى لم توجد بعد (٢) .

وبالجملة ، فهذا المعدوم الممكن يجوز أن يوجد ، ومن سيولد يجوز أن يتعلم إلى غير ذلك من ألوان الحكم على ما ليس بموجود فى الخارج حال الحكم (٣) .

وبعد ... فنقول إن إعادة المعدوم ممكنة بناء على قدرة الله تعالى وهذا هو ما أكده القرآن الكريم فى آيات عديدة خلاصة هذه الآيات ما ورد فى سورة يس وما ورد فى سورة الروم .

قال تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٤) .

---

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة .
(٢) المواقف الموقف السادس ص ٢٢٥ .
(٣) شرح المقاصد ج ٥ ص ٨٨ .
(٤) سورة يس الآية ٧٨ - ٧٩ .

وقال ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (١) .

ولذلك أقول مع الإمام سعد الدين التفتازاني - من ادعى عدم إعادة المعدوم فعليه الدليل ، وإلزاما إن المعاد مثل المبدأ بل عينه لأن الكلام فى إعادة المعدوم بعينه ، ويستحيل كون الشئ ممكنا فى وقت ممتنعا فى وقت للقطع بأنه لا أثر للأوقات فيما هو بالذات وعلى هذا لا يرد ما يقال إن العود وهو الوجود ثانيا أخص من مطلق الوجود ولا يلزم من إمكان الأعم إمكان الأخص ، وقريب من هذا ما يقال إن المعدوم الممكن قابل للوجود ضرورة استحالة الانقلاب ، فالوجود الأول إن إفادة استعداد قبول الوجود على ما هو شأن سائر القوابل بناء على اكتساب ملكه الإنصاف فقد صار قابليته للوجود الثانى أقرب وإعادته على الفاعل أهون ، وقد يكون ذلك هو الحق والمراد بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ وإن لم يفده زيادة الاستعداد فمعلوم بالضرورة أنه لا ينقص عما هو عليه بالذات من قابلية الوجود فى جميع الأوقاف .

فإن قيل ما معنى كون الإعادة أهون على الله وقدرته قديمة لا تتفاوت المقدورات بالنسبة إليها ؟

قلنا: كون الفعل أهون تارة يكون من جهة الفاعل بزيادة شرائط الفاعلية، وتارة من جهة القابل بزيادة استعدادات القبول وهذا هو المراد هنا وأما من جهة قدرة الفاعل فالكل على السواء (٢) .

---

(١) سورة الروم الآية ٢٧ .

(٢) شرح المقاصد - التفتازانى ج ٥ ص ٨٣ - ٨٤ وراجع النبوات والسمعيات للدكتور د/ محى الدين الصافى ص ٨٨ - ٨٩ .

الفصل الرابع

مشاهد يوم القيامة

الفصل الرابع

مشاهد يوم القيامة

تمهيد

تبين لنا فيما سبق كيف عرض القرآن بصفة عامه قضية البعث أمام الأعين فحيثما التفتنا وجدنا صورا شتى حول هذه القضية .

أيضا تبين لنا كيف نوعت سور القرآن المكية الاستدلال على البعث بخلق السموات و الأرض ، والإنسان وإحياء الأرض الميتة ، ودليل الرزق وإخراج الضد من الضد ، كل ذلك تبين لنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب ثم ثبات البعث فى الفصل الثانى منه .

بقى أن نشير فى هذا الفصل إلى المشاهد التى تكون يوم القيامة .

لذلك أقول : لو نظرت إلى آيات سور القرآن المكية ،ولنأخذ سورة يس على سبيل المثال لوجدنا فيها مشاهد عديدة ، المشهد الأول هو مشهد النفخ فى الصور ونلاحظ أن السورة قد أشارت إلى النفخة الأولى وذكرت النفخة الثانية، وذلك فى قول الله تعالى ﴿ما ينظُرُون إلاَّ صيْحةً واحدة تأْخُذُهم وهم يخصِّمُون ﴾ (١) هذا ما يدل على الأولى وسنعرف ذلك بوضوح فى مكانه إن شاء الله وأما الثانية فمن قوله تعالى ﴿ونُفخ في الصُّور فإذا هم من الأجداث إلى ربِّهمْ ينسلُون ﴾ (٢) أما المشهد الثانى فهو مشهد الجزاء و الحساب وذلك مأخوذ من قوله تعالى ﴿فالْيوْم لا تُظْلمُ نفْسٌ شيْئًا ولا تُجْزوْن إلاَّ ما كُنْتُمْ تعْملُون ﴾ (٣) ويدل فى هذا المشهد على تطاير الكتب وشهادة الأعضاء وغير ذلك مما ذكرته السورة الكريمة .

---

(١) سورة يس الآية ٤٩ .

(٢) سورة يس الآية ٥١ .

(٣) سورة يس الآية ٥٤ .

أما عن المشهد الثالث فهو الجنة والنار وذلك مأخوذ من قول الله تعالى ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ (١) وقوله أيضا ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢) وهكذا تبين السورة الكريمة وغيرها من سور القرآن تلك المشاهد وإليكم تفصيل ذلك فى الصفحات التالية .

المشهد الأول : النفخ فى الصور

النفخ معروف وهو يكون بالفم لإخراج الريح ، والنفيخ الموكل لإخراج النار ، والمنفاخ آلته ، والنفخ ، نفخة الورم من داء يحدث (٣) .

أما الصور فهو البوق ينفخ فيه ، وهذه هى نفخة الفزع يشمل كل من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله أن يأمن ويستقر .

قال القرطبى : الصور بالصاد قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء وسمى بالناقور قال تعالى ﴿فإذا نقر فى الناقور﴾ (٤) قال المفسرون الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق .

وقال مجاهد : هو كالبوق ، فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده قال تعالى ﴿فإذا هم من الأجداث﴾ أى القبور ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ أى يخرجون سراعا ، يقال نسل ينسل وينسل بالضم أيضا إذا أسرع فى مشيه فالمعنى يخرجون مسرعين (٥) .

---

(١) سورة يس الآية ٥٥ .
(٢) سورة يس الآية ٦٣ .
(٣) القاموس المحيط - الفيروز أبادى حرف الخاء ص ٣٣٥ ط مؤسسة الرسالة .
(٤) التذكره - القرطبى ص ١٥٧ - دار الحديث وراجع القاموس المحيط ص ٥٤٨ .
(٥) عذاب القبر ونعمه / عبد اللطيف عاشور ص ٨٨ مكتبة القرآن للطبع والتوزيع بدون تاريخ .

ومما يدل على أن الصور قرن ينفخ فيه أو قرن من نور ينفخ فيه كما قال الألوسى نقلا عن القرطبى ، ما أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال ما الصور ؟ قال : قرن ينفخ فيه (١) .

واختلفوا فى عدد النفخات فقيل ثلاث ، نفخة الفزع لقوله تعالى ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ (٢) ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٣)

وقيل نفختان ونفخة الفزع هى نفخة الصعق لأن الأمرين لا زمان لهما أى فزعوا فزعا ماتوا منه .

ويؤكد ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه لنا أبو هريرة رضى عن رسول الله ﷺ قال (ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما ؟ قال أبيت قالوا أربعين شهرا ؟ قال أبيت قالوا أربعين عاما ؟ قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتوا كما ينبت البقل ، قال وليس من الإنسان شئ لا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة) (٤) .

وأيضا ما رواه ابن المبارك عن الحسن قال ، قال رسول الله ﷺ (بين

---

(١) روح المعانى للإمام الألوسى ج ٢٠ ص ٣٠ ط دار إحياء التراث العربى .
(٢) سورة النمل الآية ٨٧ .
(٣) سورة الزمر الآية ٦٨ .
(٤) الحديث ذكره الإمام مسلم فى صحيحه بشرح الإمام النووى كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ٢٨ ما بين النفختين م ٩ ج ١٨ ص ٩١ - ٩٢ ط دار الكتب العلمية بيروت .

النفختين أربعون سنة الأولى يميت الله بها كل حى والآخرى يحيى بها الله كل ميت) (١) .

وأيضا بما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذى اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه قال أتقول هذا وفينا رسول الله ﷺ ؟

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : " قال الله ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ فأكون أول من يرفع رأسه فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله عز وجل " (٢)

ولو نظرنا بدقة إلى هذه الأحاديث وإلى غيره مما روى عن رسول الله ﷺ لو جدناها تدل على نفختين فقط لا ثالثة لهما ، فالرسول ﷺ يقول فى الحديث الأول (ما بين النفختين أربعون) وفى الثانى يقول (بين النفختين أربعون) وفى الثالث نجد أن رسول الله ﷺ قد ذكر الآية الكريمة ثم قال فى نهاية الحديث عن موسى عليه السلام فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله عز وجل) ولم يذكر الرسول ﷺ إلا نفختين فى هذا الحديث وبذلك نجد رسول الله يفسر الآية التى فى الحديث ففى النفخة الأولى يصعق من فى السماوات والأرض إلا من شاء الله وفى الثانية فإذا هم قيام ينظرون .

ولو نظرنا إلى آيات الله تعالى والتى استدل بها القائلون بأن النفخ فى الصور ثلاثة لوجدناها لا تدل إلا على نفختين فقط

---

(١) هذا الحديث انظره فى الدر المنثور ح ٢ ص ٢٥٢ ط دار الفكر .

(٢) صحيح البخارى خ ٦ كتاب أحاديث الأنبياء باب وفاة موسى ص ٥٠٨ دار الريان وانظره فى الدر المنثور للسيوطى ح ٧ ص ٢٤٩ .

فالآيات التي تدل على النفخة الأولى منها قوله تعالى ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ (١) .

وقوله تعالى ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ (٢) وأما الآيات التي تدل على النفخة الثانية فمنها : قوله تعالى ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (٣) .

وقوله تعالى ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ (٤) .

وقوله تعالى ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾ (٥) .

والرأى الذى أميل إليه وأرجحه هو الرأى الثانى القائل بالنفختين وذلك لأن الآيات قد دلت على ذلك وكذلك صرحت سنة رسول الله ﷺ بذلك .

هذا مما يجعلني أقول : إن نفخة الفزع هى نفخه الصعق فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا وهذا الرأى هو الرأى الذى اختاره الإمام القرطبى حيث قال فى التذكرة وهو الصحيح إن شاء الله تعالى (٦) .

وهنا سؤال يعرض نفسه وهو ، من هم الذين لم يشأ الله أن يصعقهم فى النفخة الأولى ؟

قيل هم الشهداء وقيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل حملة العرش من الملائكة وإليك التفصيل .

---

(١) سورة النمل الآية ٨٧ .
(٢) سورة الزمر الآية ٦٨ .
(٣) سورة الزمر الآية ٦٨ .
(٤) سورة يس الآية ٥١ .
(٥) سورة النبأ الآية ١٨ .
(٦) التذكرة فى أمور الموت وأحوال الآخرة للإمام القرطبى ص ١٥٩ ط دار الحديث .

أما بالنسبة لمن قال هم الشهداء استدلوا بما روى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال سئل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ (١) .

من الذين لم يشاء الله أن يصعقهم ؟ قال : " هم الشهداء مقلدون بأسيافهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة عليهم السلام ... " (٢) .

قال الإمام القرطبى اختلف العلماء فى المستثنى من هو ؟ فقيل الملائكة وقيل الأنبياء وقيل الشهداء وقيل حملة العرش .

قال يحيى بن سلام ، بلغنى أن آخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل ثم يقول الله لملك الموت مت فيموت .

ثم ختم الإمام القرطبى كلامه فقال قال شيخنا أبو العباس والصحيح أنه لم يرد فى تعينهم خبر صحيح والكل محتمل (٣) .

وهذا الرأى الأولى اتباعا لأنه لم يرد فى تعينهم نص صحيح يعتمد عليه .

وإذا كنا نذكر مشاهد القيامة كما فى سورة " يس " فهل ما ورد فى سورة يس الكريمة ما يدل على النفخة الأولى أم الثانية أم عليهما معا ؟ هذا هو ما نعرفه فى السطور التالية .

إننا لو نظرنا وتأملنا فى قول الله تعالى ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾ (٤) .

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٨ .

(٢) هذا الحديث ذكره بن المنذر والحاكم وأنظره فى الدرر المنثور للإمام السيوطى ج ٧ ص ٢٤٩ _ ٢٥٠ .

(٣) التذكرة للإمام القرطبى ص ١٨٩ وما بعده ط المكتبة التوفيقية .

(٤) سورة يس الآية ٤٩ .

لوجدنا أن فى هذه الآية الكريمة ما يدل دلالة واضحة على النفخة الأولى، وهذا هو ما يؤكده لنا الإمام الألوسى رحمه الله حيث قال عند تعرضه لهذه الآية : وهى النفخة الأولى فى الصورة التى يموت بها أهل الأرض ، وعبر بالانتظار نظراً إلى قولهم : ﴿متى هذا الوعد﴾ أو لأن الصيحة لما كان لابد من وقوعها جعلوا كأنهم منتظروها تأخذهم تقهرهم وتستولى عليهم فيهلكون وهم يخصمون . أى يتخاصمون ويتنازعون فى معاملاتهم ومتاجرهم لا يخطر ببالهم شئ من مخايلها .

وهذا ما يؤكده ابن عمر قال : لينفخن فى الصور والناس فى طرقهم وأسواقهم ومجالسهم حتى إن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان فما يرسه أحدهما من يده حتى ينفخ فى الصور فيصعق به (١) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعان ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكله إلى فمه فلا يطعمها " (٢) .

أما ما يدل على النفخة الثانية فى السورة الكريمة، فقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (٣) .

وبينها وبين الأولى أربعون كما فى الأحاديث السابقة ، وعبر الله تعالى بصيغة الماضى للدلالة على تحقيق الوقوع ، وقوله ﴿ فإذا هم من الأجداث ﴾ أى القبور وقوله ﴿ إلى ربهم ينسلون ﴾ أى يخرجون منها أحياء يمشون مسرعين بطريق الإجبار (٤) .

---

(١) روح المعانى للإمام الألوسى ج ٢٣ ص ٣١ .

(٢) هذا الحديث رواه الإمام أحمد وغيره عن أبى هريرة - انظر الفتح الربانى الفتح بترتيب مسند الإمام أحمد ج ٢٤ ص ١٠٩ ط دار إحياء التراث العربى بيروت .

(٣) سورة يس الآية ٥١ .

(٤) راجع روح المعانى ج ٢٣ ص ٣٢ بتصرف .

وختاما نقول :

لا شك أن النفخة الأولى والثانية بناء على قدرة الله تعالى وتظهر تلك القدرة بصورة أوضح فى قول عكرمة رضي الله عنه : إن الذين يغرقون فى البحر تقتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شئ إلا العظام فتلقيها الأمواج إلى الساحل فتمكث حيناً ثم تصير حائلة نخرة ثم تمر بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر ، ثم يجئ قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فيجئ الريح فيلقى ذلك الرماد على الأرض فإذا جاءت النفخة فإذا هم قيام ينظرون ، يخرج أولئك وأهل القبور سواء ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة ﴾ أى نفخة واحدة ﴿ فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ (١) .

وبهذه الكلمات أنتهى من هذا المشهد وأنتقل إلى مشهد آخر .

---

(١) التذكره ـ للإمام القرطبى ص ١٥٤ ط دار الحديث والآية من سورة يس رقم ٥٣ .

المشهد الثانى : الحساب والجزاء

تمهيد

لاشك أن المقصود بالحساب والعقاب هو الحساب والعقاب فى دار الآخرة لا فى دار الدنيا فالدنيا ما هى إلا مزرعة للآخرة فمن جد فيها وجد ومن زرع فيها حصد .

والقرآن الكريم قد أشار فى آيات عديدة إلى الحساب والجزاء وكذلك السنة النبوية وهى الموضحة والمفصلة لما أجمله القرآن .

ففى القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ فإنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٢) والآيات عديدة .

وفى السنة النبوية قوله ﷺ : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه فى الدنيا " (٣) .

أما الجزاء فقد ورد أيضا فى القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿ فالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إلاَّ الْكَفُورَ ﴾ (٥) .

وأما فى السنة فمنها قوله ﷺ فى الحديث القدسى عن رب العزة ﴿ يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ﴾ (٦) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٢) سورة " ص " الآية ٥٣ .

(٣) هذا القول قيل أنه لعمر بن الخطاب . راجع صحيح الترمذى باب صفة القيامة ج ٩ ص ٢٨٢ ط دار الكتب العلمية .

(٤) سورة يس الآية ٥٣ .

(٥) سورة سبأ الآية (١٧) .

(٦) الحديث : فى صحيح الإمام مسلم بشرح النووى باب تحريم الظلم ج ١٠ ص ٨ أنظره فى الأحاديث القدسية ص ٢٦٤ ط دار إحياء الكتب العربية - م .

هذا .. وقد أجمع المسلمون على وقوع الحساب والجزاء وذلك لأن القرآن الكريم ورد فيه ما يؤكد ذلك وكذلك السنة النبوية وتفصيل ذلك هو ما نتعرض له فى الصفحات التالية نتعرض أولا للحساب تعريفه والحكمة منه والكيفية التى يكون عليها وكذلك الجزاء .

الحساب

الحساب فى اللغة : العدد .

واصطلاحا : توقيف الله الناس على أعمالهم خيرا كان أو شرا قولا كان أو فعلا تفصيلا بعد أخذهم كتبهم ويكون للمؤمن والكافر إنسًا كان أو جنا إلا من استثنى منهم .

وقد اختلف فى المراد بتوقيف الله الناس على أعمالهم فقيل المراد به أن يخلق الله فى قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب وهذا قول الإمام فخر الدين .

وقيل المراد به أن يوقفهم بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم وهذا القول نقل عن ابن عباس وفيه قصور كما قال صاحب الجوهرة لأن الحساب غير قاصر على هذا المقدار .

وقيل المراد به أن يكلمهم فى شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب فيسمعهم كلامه القديم وهذا هو الذى تشهد له الأحاديث الصحيحة ، ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب الناس جميعا معا حتى إن كل واحد يرى أنه المحاسب وحده (١) .

---

(١) شرح الجوهرة - الباجورى ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

حكمة الحساب

إن الله تعالى يحاسب الخلائق على أعمالهم لإقامة الحجة عليهم وإظهارا لعدله وفضله .

أيضا نجد العبد إذا علم أنه محاسب ومسئول عن أعماله أمام الله الواحد الأحد يوم القيامة كان ذلك أزجر له عن المعصية ، وأحث له على الطاعة وفي هذا تشريف للمؤمن وتبكيت للعصاة والكافرين .

يقول الإمام الباجوري :وحكمته إظهار تفاوت المراتب في الكمال وفضائح أهل النقص ففيه ترغيب في الحسنات وزجر عن السيئات (١) .

هذا مع الإيمان الكامل بأن الله لا يسئل عما يفعل وهم يسألون

والمحاسبة فعل إلهي لا يستطيع العقل القاصر أن يقف على ما فيه من حكم وإسرار إلا ما آتاه الله العلم والحكمه .

مع أن الآيات القرآنية توضح وتبين الحكمة من الحساب . من بينها قوله تعالى ﴿ لئلا يَكُونَ للنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وما كُنَّا مُعذِّبِين حتَّىٰ نَبْعثَ رسُولاً ﴾ (٣) .

أما عن كيفية الحساب ، كما قلنا إن الله تعالى يوقف العباد على أعمالهم خيرا كان أو شرا قولا كان أو فعلا لإقامة الحجة عليهم .

وفي هذا الموقف يكون السؤال عن أعمالهم كما قال القرآن بذلك قال تعالى ﴿ فوربِّكَ لَنسأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِين (٩٢) عمَّا كَانُوا يعْمَلُون ﴾ (٤) .

---

(١) شرح الجوهرة ص ٢٠٧ .
(٢) سورة النساء الآية ١٦٥ .
(٣) سورة الإسراء الآية ١٥ .
(٤) سورة الحجر الآيتان ٩٢ ـ ٩٣ .

وهذا السؤال واضح فى حكاية عيسى عليه السلام قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ . . . ﴾ (١) .

هذا وقد أرشدنا القرآن إلى أن حساب الله تعالى يكون سريعا وفى وقت واحد يحاسب الخلائق كما قلنا وقد سئل الإمام على رضي الله عنه يا أمير المؤمنين كيف يحاسب الله الناس كلهم فى وقت واحد ؟ فقال ، كما يرزقهم فى آن واحد يسألهم فى آن واحد

كما أن الحساب يختلف فمنه اليسير ومنه العسير والسر والجهر والتوبيخ والفضل والعدل (٢) .

ولا شك أن الحساب يكون يسير على المؤمن عسير على الكافر وهذا هو ما أرشدنا إليه القرآن ، قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ (٣) .

ولا شك أيضا أن الحساب فى السر يكون للمؤمن وفى الجهر يكون للكافر . وهذا هو ما أرشدنا إليه رسول الله الأعظم ﷺ .

يقول ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى (يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه - أى ستره عليه - فيقول أعملت كذا وكذا فيقول نعم ، فيقرره ، ثم يقول إنى سترت عليك فى الدنيا وأنا

---

(١) سورة المائدة الآيات ١١٦ - ١٢٠ .

(٢) العقائد الإسلامية - السيد سابق ص ٢٨٦ طبع دار النصر للطباعة .

(٣) سورة الإنشقاق الآيات ٧ - ١٢ .

أغفرها لك اليوم ثم يعطى صحيفة حسناته ، وأما الكافر فينادى على رؤس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (١) .

عدالة الحساب

إن حساب الله تعالى للخلائق تتوفر له كل مقومات العدالة مقومات العدالة تتلخص فيما يلى :

١ - إن الله تعالى هو الذى يحاسب الخلق جميعا ، وهذا هو ما أرشدنا إليه القرآن قال تعالى ﴿ وكَفَىٰ بالله حسيباً ﴾ (٢) .

ومعنى أن الله هو الذى يحاسب الخلائق جميعا أى أن الله يعطى كل ذى حق حقه لأنه هو العدل والعدل اسم من أسمائه الحسنى فله سبحانه العدل وصدق الله فى قوله ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يظْلمُ النَّاسَ شيْئًا ... ﴾ (٣) وقوله ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيْئًا ... ﴾ (٤) .

٢ - إقامة الشهادة على العباد يوم القيامة .

إن إقامة الشهادة على العباد تتمثل فى الأمور الآتية .

(أ) كتب الأعمال : فأعمال العباد فى الدنيا يسجلها الملائكة الكرام الذين وكل الله إليهم ذلك . قال تعالى ﴿ وإنَّ عليْكُمْ لحافظين (١٠) كراما كاتبين (١١) يعلمون ما تفعلون ﴾ (٥) .

فإذا جاء يوم القيامة يؤتى العباد صائفا أعمالهم لتكون شاهدة لهم أو

---

(١) الحديث صحيح البخارى كتاب التفسير ج ٨ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ط دار المطبعة السلفية ط ٣ سنه ١٤٠٧هـ .
(٢) سورة النساء الآية ٦ .
(٣) سورة يونس الآية ٤٤ .
(٤) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .
(٥) سورة الانفطار الآية ١٠ - ١٢ .

لتكون حجة عليهم وهذا هو ما أكده القرآن الكريم فى آيات عديدة قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ (٢) .

(ب) شهادة الأعضاء : والأعضاء كما نعرف عشرة وهى الألسنة - والأيدى - والأرجل - والسمع - والأبصار - والجلود - والأرض - والليل - والنهار - والحفظة الكرام (٣) .

وهذا هو ما أرشدتنا إليه الآيات القرآنية الكثيرة منها قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) وقوله تعالى ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (٦) . وقوله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ (٧) .

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال (أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها : أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا قال : فهذه أخبارها (٨) .

---

(١) سورة يس الآية ١٢ .
(٢) سورة الانشقاق الآيات ٦ - ١٣ .
(٣) النبوات والسمعيات د / محى الدين الصافى ص ١٧٤ .
(٤) سورة يس الآية ٦٥ .
(٥) سورة النور الآية ٢٤ .
(٦) سورة ق الآية ٢١ .
(٧) سورة الزلزلة الآية ٤ .
(٨) الحديث رواه الترمذى فى صحيحة كتاب تفسير ح ٥ ص ٤٤٦ ط دار الحديث القاهرة.

(ج) شهادة الأنبياء والرسل ، وعلى رأسهم رسولنا الأعظم ﷺ وهذا ما أرشدنا إليه القرآن قال تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ... ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

(د) تقرير الأعمال بمقياس عادل وهو الميزان .

قال تعالى ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ (٣) وقال ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٤)

وقال ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٥) .

ومن هنا نقول : ـ كما أن للعباد صحف تشهد على أعمالهم كذلك للعباد ميزان توزن به أعمالهم ـ وهو ميزان واحد على الراجح له عمود وكفتان كل واحدة منها أوسع من طباق السموات والأرض وجبريل أخذ بعموده وميكائيل أمين عليه ومحله بعد الحساب (٦) .

وأنكر معظم المعتزلة ذلك بحجة أن الأعمال أعراض فلا يمكن وزنها ولهذا أولوا الميزان بأن المراد به العدل الثابت فى كل مكان على اعتبار الحسنات وقالوا وزن كل شئ بما يليق به (٧) .

(١) سورة النساء الآية ٤١ .
(٢) سورة النحل الآية ٨٩ .
(٣) سورة الأعراف الآية ٤١ .
(٤) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .
(٥) سورة المؤمنون الآيتان : ١٠٢ ـ ١٠٣ .
(٦) شرح الجوهرة ص ٢١٤ .
(٧) راجع شرح السنوسية الكبرى للإمام السنوسى ص ٣٩٩ .

وقال ابن المعتمر من المعتزلة عن الميزان ، يجوز ولا نقطع به سمعا ولا شك أن كلامه باطل لما أخبر به القرآن ولما أخبر به الرسول ﷺ (١) .

وقال الجبائي : يخلق الله تعالى جواهر على أعداد الأعمال الصالحة وضدها (٢) .

ولكن الأسلم أن نؤمن به لأنه من الأمور السمعية ولذلك يقول الإمام البيضاوى والأصل فيها ـ أى فى الصراط والميزان والكتب ـ أنها أمور ممكنة أخبر الصادق عن وقوعها فيكون حقا (٣) .

ويقول الشهر ستانى : والأحرى أن يقال : لكل شئ فى العالم ميزان لائق بوجود ذلك الشئ فميزان ما يقبل الثقل والخفة الميزان المعهود وميزان المكيلات الكيل ، والمذروعات الذراع والمسافات ، والفراسخ ، والأميال ، والمعدودات العدد ، وميزان الأعمال ، والأقوال ما يكون لائقا بها (٤) ونفوض حقيقته إلى الله تعالى لأنه من أمور الغيب .

الجزاء ـ ثوابا وعقابا

تعريف الجزاء : يعرف الجزاء بأنه مثوبة على عمل الخير أو عقوبة على عمل الشر .

ولذا ورد القرآن باستعمال الجزاء فى المعنيين ، ما يقابل عمل الخير وهو الثواب ، أو ما يقابل عمل الشر وهو العقاب .

قال تعالى فى أصحاب النعيم ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ (٥) .

---

(١) نفس المرجع بتصرف .
(٢) المرجع السابق ص ٣٩٩ .
(٣) طوالع الأنوار ـ البيضاوى ص ٢٢٨ ط المطبعة الخيرية .
(٤) نهاية الإقدام للشهر ستانى ص ٤٧٠ .
(٥) سورة الإنسان الآية ١٢ .

وقال فى أصحاب الجحيم ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا﴾ (١) .

ومن الملاحظ أن كلمة ثواب تدل على العمل الصالح وكلمة عقاب تدل على العمل السئ إلا أن الثواب قد جاء إستعمالة فى جزاء الشر وذلك كما فى قوله ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ...﴾ (٢) إلا أن الاكثر استعمالا هو استعمال الثواب فى مقابلة العمل الصالح .

أنواع الجزاء

الجزاء قد يكون دنيوى وقد يكون أخروى .

١ ـ الجزاء الدنيوى هو ما يقع للعباد فى الدنيا من خير وشر وذلك نتيجة لأعمالهم ، ومن الجزاء فى الدنيا ما شرع من الحدود وارتكاب الكبائر وهذا هو المقصود من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ..﴾ (٣) .

٢ ـ أما الجزاء الأخروى : فهو ما أعد الله للمتقين من الثواب وللفاجرين من العقاب .

والثواب باللذات الحسية والروحية والعقاب بالآلام الحسية والروحية وذلك لأننا نؤمن بالبعث روحا وجسدا .

فالثواب فضل من الله وعد به فى كتابه من غير وجوب والله لا يخلف وعده لأن الخلف فى الوعد نقص تعالى الله عنه لكنه لا يجب على الله تعالى

---

(١) سورة النبأ الآيات ٢٤ ـ ٢٦ .
(٢) سورة المائدة الآية ٦٠ .
(٣) سورة المائدة الآية ٣٣ .

لما علمنا من أنا اللّه تعالى لا يجب عليه شئ والعقاب عدل من اللّه لأن الكل ملكه فله أن يتصرف فيه كما يشاء وله العفو عنه لأنه فضل ولا يعد الخلف فى الوعيد نقصا بل يمدح عند العقلاء هذا ما قاله الإمام الايجى (١) .

أما ما قاله الأصفهانى فى شرحه لطوالع الأنوار فهو : وأما أصحابنا ـ أى الأشاعرة ـ فقالوا : الثواب فضل من اللّه ، والعقاب على المعصية عدل منه ، وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب ، وفعل المعصية علامة العقاب ولا يكون الثواب على الطاعة واجبا على اللّه تعالى ولا العقاب على المعصية لما علمت أنه لا يجب عليه شئ وكل ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة والعاصى ميسر لما خلق له وهو المعصية .. واللّه تعالى يخلد المؤمن الموفق للطاعات فى جناته وفاء بوعده قال عز من قائل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (٢) ويعذب الكافر المعاند المعرض عن الحق فى نيرانه أبدا بمقتضى وعيده فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا . . . ﴾ (٣) .

ثم قال وينقطع وعيد المؤمن العاصى لوجوه ثلاثة

الأول : قوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٤) والمؤمن العاصى قد عمل ذرة خير وكيف لا والإيمان أعظم الخيرات فيجب أن يرى ثوابه بمقتضى الآية ولا يرى إلا بعد الخلاص من العذاب إذ لا ثواب قبل العقاب اتفاقا .

---

(١) المواقف ـ الموقف السادس ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
(٢) سورة الكهف الآية ١٠٧ ـ ١٠٨ .
(٢) سورة البينة الآية (٦) .
(٣) سورة الزلزلة الآية ٧ .

الثاني : قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (١) ما عدا الشرك بقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (٢) فيبقى معلوما به ما عدا الشرك .

الثالث : قوله ﷺ (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) والمؤمن العاصى قال لا إله إلا الله فيدخل الجنه فينقطع وعيده (٣) .

هذا ... وللمعتزلة كلام يخالف كلام الأشاعرة ، حيث قالوا إن الله تعالى يجب عليه الثواب والعقاب واحتجوا بوجوه .

الأول : أن إلزام المشاق من غير منفعة مؤقتة تقابلها تكون ظلما ، والله منزه عن الظلم وتلك المنفعة هى الثواب ، ثم إن الفعل لا يجب عقلا لأجل تحصيل المنفعة وإلا لوجب النوافل وإنما يجب لدفع المضرة فلزم استحقاق العقاب بتركه ليحسن ايجابه (٤) .

الجواب

بعد تسليم لزوم الغرض بأنه يجوز أن يكون شكرا للنعم السابقة ، أو يكون الغرض أمرا آخر كحصول السرور بالمدح على أداء الواجب واحتمال المشاق فى طاعة الخالق ، على أنه يجوز أن يكون إيجاب الواجبات بناء على أن لها وجهة وجوب فى أنفسها وما يقال من أنه لو كان كذلك لوجب على الله تعالى أن لا يجعلها شاقة علينا بأن يزيد فى قوانا لأن وجه الوجوب لا يتوقف على كونها شاقة كرد الوديعة وترك الظلم يجب سواء كان شاقا أو

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ .
(٢) سورة النساء الآية ٤٨ .
(٣) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ـ للأصفهانى ص ٢٢٣ ط المطبعة الخيرية .
(٤) شرح المقاصد ـ التفتازانى ح ٥ ص ١٢٨ .

لا فليس بشئ لجواز أن يكون وجوبها بهذا الوجه ، ولأن الوجوب وإن لم يتوقف على كونها شاقة لكان منافيا لذلك ، فيجوز أن تجعل شاقة لغرض آخر (١) .

الثـــانى : انه لو وجب الثواب والعقاب لأقضى ذلك إلى التوانى فى الطاعات والاجتراء على المعاصى، لأن الطاعات مشاق ومخالفات للهوى لا تميل إليها النفس إلا بعد القطع بلذات ومنافع ترد عليها .

الجواب

هذا مردود بأن شمول الوعد والوعيد للكل وكثرة الأخبار والآثار فى ذلك كاف فى الترغيب والترهيب ومجرد جواز الترك غير قادح .

الثالث : الآيات والأحاديث الواردة فى تحقيق الثواب والعقاب يوم الجزاء منها على سبيل المثال ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ (٢) فلو لم يجب وجاز العدم لزم الخلف والكذب (٣) .

الجواب

ورد بان غايته الوقوع البتة ، وهو لا يستلزم الوجوب على الله

الرابـع : ما ورد أيضا فى القرآن الكريم مثل قوله ﴿جزاء بما كانوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤) وأمثاله من النصوص القرآنية .

الجواب

أن العمل عندنا علامة حصول الثواب لا أنه علة موجبة له وهذا القدر يكفى فى إطلاق اسم الجزاء على الثواب (٥) .

---

(١) نفس المرجع .
(٢) سورة الزلزلة الآية ٦ ـ ٨ .
(٣) شرح المقاصد ح ٥ ص ١٢٩ .
(٤) سورة السجدة الآية ١٧ .
(٥) الأربعين فى أصول الدين ـ الرازى ح ٢ ص ٢٠٧ طبع ونشر مكتبة الكليات الزهرية .

وبعد .... فإن الجزاء الأخروى من الأمور الغيبية لا يدرك فى الدنيا بحس أو عقل إذ نص الشرع على أن الثواب وما أعد للصالحين هو مما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وصدق الله فى قوله ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (١)

هذا والذى جعل المعتزلة يقولون بوجوب الثواب والعقاب على الله تعالى هو تمسكهم بالأصول المعروفة عندهم بالأصول الخمسة ولذلك تمسكوا بقولهم السابق و حتجوا بوجوه رددنا عليها والله أعلم .

(١) سورة السجدة الآية ١٧ .

المشهد الثالث

الجنة والنار

لقد شاء الله تعالى أن تكون الجنة فى الدار الآخرة مستقر الجزاء والثواب لمن تغلب على هواه وقدم الخير وفعل الطاعات وانقاد لأوامر الرسل.

وأن تكون النار مستقر الجزاء بالعقاب لمن خالف أوامر ربه وبادر بالعصيان وفعل السيئات ، وليس بعد الجنة والنار إلا خلود أهل الجنة فى الجنة وخلود أهل النار فى النار .

ومن هنا نقول : الجنة هى المصير النهائى لمن عمل الخيرات حيث ينال ثواب ما قدم .

والنار لمن بادر بالشر وعمل السيئات وخالف أوامر ربه وترك سنة رسوله ﷺ حيث ينال فيها عقاب ما قدم .

وجود الجنة والنار

يذهب الأشاعرة إلى أن الجنة والنار مخلوقتان الآن موجودتان واستدل الأشاعرة على قولهم بأن وجود الجنة والنار أمر ممكن أخبر به الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى وكل ما كان كذلك فهو حق (١) .

أما كونهما ممكنين فلأنه لم يقم دليل على استحالتهما أو وجودهما لذاتهما ، وحيث لم يقم دليل على هذين الأمرين فهما ممكنين (٢) .

هذا بالإضافة إلى إخبار الصادق الأمين حيث أخبر بأنهما مخلوقتان الآن وتضافرت الأدلة على ذلك (٣) .

---

(١) المواقف ـ الموقف السادس ص ٢٣١ .

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ـ الرازى ص ٢٣٥ .

(٣) معالم أصول الدين ـ الرازى ص ١١٩ .

وللأشاعرة فى إثبات قولهم هذا وجهان :

الأول : قصة آدم وحواء وإسكانهما الجنة ثم إخراجهما منها بالأكل من الشجرة وكونهما يخصفان عليهما من ورق الجنة على ما نطق به الكتاب والسنة وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالفين :

حملها على بستان من بساتين الدنيا يجرى مجرى التلاعب بالدين ، ثم لا قائل بخلق الجنة دون النار فثبوتها ثبوتها (١) .

يقول الإمام الايجى : مما يستدل به قصة آدم وحواء وإسكانهما الجنة وإخراجهما على ما نطق به الكتاب وإذا كانت مخلوقة فكذا النار إذ لا قائل بالفصل (٢) .

ويقول إمام الحرمين : تواترت الأخبار فى قصة آدم عليه السلام عن الجنة وإدخال آدم إياها وبدور الذلة منه فيها وإخراجه منها ووعده الرد عليها وكل ذلك ثابت قطعا من فحوى الآيات المستفيض من نقل الإثبات والثقات (٣) .

ويقول الأصفهانى : ولنا أن إسكان الله تعالى آدم عليه السلام فى الجنة وإخراجه منها بسبب الأكل من الشجرة بعد نهيه تعالى عنها يدل صريحا على أن الجنة مخلوقة الآن (٤) .

الثانى : الآيات الصريحة فى ذلك كقوله تعالى ﴿ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ (٥) .

(١) شرح المقاصد ح ٥ ص ١٠٨ ـ ١٠٩
(٢) المواقف ـ الموقف السادس ص ٢٣١ .
(٣) الإرشاد ـ الجوينى ص ٣٧٨ .
(٤) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ـ الأصفهانى ص ٢١٩ .
(٥) سورة النجم الآية ١٣ ـ ١٥ .

وكقوله فى حق الجنة ﴿أعدت للمتقين﴾ (١) وقوله ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (٢) وقوله ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣) .

وفى حق النار قوله تعالى ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٤) وقوله ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (٥) وحملها عن التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى مبالغة فى تحققه مثل قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ (٦) وقوله ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ (٧) . خلاف الظاهر فلا يعدل إليه بدون قرينة .

الجنة والنار عند المعتزلة :

فى بداية الحديث عن رأى المعتزلة نود أن نشير إلى أن المعتزلة لا ينكرون الجنة والنار بل يقرون بها إلا أن هناك خلاف بين الأشاعرة وبينهم فى كونهما مخلوقتين الآن أم لا .

وحول هذا الخلاف انقسم المعتزلة فرقتين .

فرقة مع الأشاعرة فى قولهم أن الجنة والنار موجودة الآن فمن القائلين بذلك من المعتزلة أبو على الجبائى ، وبشر بن المعتمر وأبو الحسين البصرى ومن تبعه من المعتزلة .

وفرقة خالفت الأشاعرة وقالوا إنهما غير موجودتين الآن بل يخلقان يوم الجزاء والقائلون بذلك من المعتزلة ، أبو هشام والقاضى عبد الجبار وضرار بن عمرو ومن تبعهم (٨) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٧ .
(٢) سورة الحديد الآية ٢١ .
(٣) سورة الشعراء الآية ٩٠ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٤ .
(٥) سورة الشعراء الآية ٩١ .
(٦) سورة يس الآية ٥١ .
(٧) سورة الأعراف الآية ٤٤ .
(٨) المواقف ـ السادس ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

وقد لجأ المنكرون إلى تأويل الآيات القرآنية الصريحة فقالوا : إن جنة آدم هي بستان في الأرض (١) .

أيضا حملوا التعبير بالماضي في قوله تعالى ﴿ أعدت للمتقين ﴾ على المستقبل لتحقق الوقوع (٢) .

يقول الإمام التفتازاني ردا عليهم وحملها على بستان من بساتين الدنيا يجري مجرى التلاعب بالدين والمراغمة لإجماع المسلمين ثم لا قائل بخلق الجنة دون النار فثبوتها ثبوتها (٣) .

وعن قولهم إن التعبير في قوله " أعدت " هو تعبير عن المستقبل بلفظ الماضي مبالغة في تحققه قال : هذا خلاف الظاهر فلا يعدل إليه بدون قرينه (٤) يقول إمام الحرمين : وهذا تلاعب بالدين وانسلال عن إجماع المسلمين (٥) .

أدلة المعتزلة

كما قلنا ذهب كثير من المعتزلة إلى أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن بل يخلقان يوم الجزاء وتمسكوا بأدلة عقلية منها .

الدليل الأول :

قالوا لو كانت الجنة والنار مخلوقتين الآن فهما إما في عالم الأفلاك أو في عالم العناصر أو في عالم آخر لكن التالي باطل بجميع أجزائه فبطل المقدم وهو كونهما مخلوقتين الآن وثبت نقيضه وهو عدم خلقهما الآن .

---

(١) الإرشاد - الجويني ص ٣٧٨ وشرح السنوسية الكبرى ص ٤٠٠ .
(٢) شرح السنوسية الكبرى ص ٤٠٠ للإمام السنوسي .
(٣) شرح المقاصد - التفتازاني ج ٥ ص ١٠٨ - ١٠٩ .
(٤) نفس المرجع ص ١٠٩ .
(٥) الإرشاد - الجويني ص ٣٧٨ .

أما بطلان كونهما فى عالم الأفلاك فلأن الأفلاك لا يجوز عليها الخرق والالتئام وكذا وجودهما فى عالم آخر ووجودهما فيهما يستلزم جواز الخرق والالتئام على الأفلاك لأن حصول العنصريات فيها وهبوط آدم من الجنة يقتضيه .

وأما بطلان كونهما فى عالم العناصر فلأن عالم العناصر لا يسع جنة عرضها السموات والأرض وكونهما فى عالم العناصر يقتضى التناسخ ، ولا معنى للتناسخ إلا عودة الأرواح إلى الأبدان مع بقائها فى عالم العناصر وأنتم لا تقولون بالتناسخ (١) .

الجواب

أن هذا الدليل مبنى على أصول فلسفية غير مسلمة عندنا وذلك مثل استحالة الخلاء وامتناع الخرق والالتئام ونفى القادر الذى بقدرته تحديد الجهات وترجيح المتساويات إلى غير ذلك من المقدمات (٢) .

فقولهم هذا مبنى على أصل فلسفى ، وهو فاسد عندنا لأنها أجسام يجوز عليها ذلك ، وقد أيد العلم الحديث أهل السنة فيما ذهبوا إليه (٣)

وأما وصف الجنة بأن عرضها كعرض السموات والأرض ليس للتحديد بل هو فى الحقيقة كناية عن سعة الجنة وكونها مبسوطة ممتدة من تقدير عرضها بأوسع ما علمه الناس بالمشاهدة (٤) .

وأما قولهم بالتناسخ فهذا مردود لأن التناسخ ليس عود الأرواح إلى أبدانها بل هو تعلقها ببدن آخر فى هذا العالم (٥) .

---

(١) شرح المقاصد ج ٥ ص ١١٠ .
(٢) النبوات والسمعيات د / محى الدين ص ١٠٩ .
(٣) نفس المرجع ص ١١٠ .
(٤) نفس المرجع والصفحة بتصرف .
(٥) نفس المرجع ص ١١١ .

الدليل الثانى

لو كانت الجنة والنار موجودتين الآن لما جاز هلاك أكل الجنة لقوله تعالى ﴿ أكلها دائم ﴾ لكن التالى باطل لقوله ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾ فبطل المقدم وهو وجودهما الآن (١) .

الجواب

أجاب أهل السنة عن هذا الدليل بأنه لا يمكن دوام أكل الجنة بعينه وإنما المراد بالدوام أنه فنى منه شئ جئ ببدله وهذا لا ينافى الهلاك لحظة ، وأيضا الهلاك لا يستلزم الفناء بل يكفى الخروج عن حد الانتفاع به ولو سلم أن الهلاك يستلزم الفناء فيجوز أن يكون المراد ، أن كل شئ ممكن فهو هالك فى حد ذاته بمعنى أن الوجود الممكن بالنظر إلى الواجب بمنزلة العدم (٢) .

يقول الإمام الرازى ، يحمل قوله تعالى ﴿ أكلها دائما ﴾ (٣) على ما يحصل بعد دخول المكلفين الجنه أو يدخل التخصيص فى عموم قوله ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه (٤) ﴾ (٥) وهذا القول قاله الإمام السنوسى فى كتابه المعروف (٦) .

ونحن نرى أن ما قاله أهل السنة ونقله عنهم الإمام الأصفهانى صاحب شرح المطالع هو أقرب إلى الفهم من هذا الأخير .

---

(١) نفس المرجع ص ١٠٩ .
(٢) شرح مطالع الأنظار للإمام الأصفهانى ص ٢١٩ .
(٣) سورة الرعد الآية ٢٩ .
(٤) سورة القصص الآية ٩ .
(٥) معالم أصول الدين ـ الرازى ص ١٥٠ .
(٦) شرح السنوسية الكبرى ـ الإمام السنوسى ص ٤٠٠ .

الدليل الثالث

لو كانت الجنة مخلوقة لكان عرضها السموات والأرض واللازم باطل ، أما الملازمة فظاهرة ، وأما بطلان اللازم فلأنه إنما يكون عرضها عرض السموات والأرض إذا وقعت فى أحياز السموات والأرض ، إذ لو وقعت فى غير أحيازهما أو فى بعض أحيازهما لم يكن عرضها عرضهما ووقوعها فى جميع أحيازهما إنما يكون بعد فناء السموات والأرض لإستحالة تداخل الأجسام (١) .

الجواب

أن المراد أنها كعرض السموات والأرض لامتناع أن يكون عرضها كعرضهما بعينه لا حال البقاء ولا بعد الفناء (٢)

وهذا القول صرح به القرآن الكريم قال تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ .... ﴾ (٣) فيحمل هذا على تلك (٤) .

تلك هى الأدلة التى تمسك بها المعتزلة ولا شك أنها كما رأينا أدلة واهية مخالفة لمذهبهم أولا وللشرع الحكيم ثانيا .

أما لمذهبهم فنقول مع إمام الحرمين ، بم ينكرون على من يقول لهم ، علم الله أن خلق الجنة والنار لطف فى الإيمان والأحكام العقلية ، وذلك غير بعيد على موجب قياسهم فى اللطف والصلاح والأصلح (٥) .

---

(١) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للإمام الاصفهانى ٢١٩ .
(٢) المواقف للإمام الايجى الموقف السادس ص ٢٣٢ ط المطبعة العامرة .
(٣) سورة الحديد الآية ٢٠ .
(٤) المواقف ص ٢٣٢ .
(٥) الإرشاد الجوينى ص ٢٧٨ .

أما بالنسبة للشرع الحكيم :

ذهب كثير من العلماء إلى أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش تشبثا بقوله تعالى ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ (١) .

وقوله ﷺ (سقف الجنة عرش الرحمن والنار تحت الأرضين السبع) (٢) .

وخلاصة القول أن :الجنة والنار حق وأنهما موجودتان الآن لكن فى أى مكان الله أعلم فالحق كما قال الإمام التفتازانى تفويض ذلك إلى علم العليم الخبير (٣) .

يقول الإمام الباجورى : لم يرد نص صريح فى تعيين مكان الجنة والنار كما قال صاحب المقاصد والأكثرون على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش وأن النار تحت الأرضين السبع ، والحق تفويض علم ذلك إلى اللطيف الخبير (٤)

ويقول الإمام الطحاوى : ـ يجب على كل مكلف أن يؤمن بخلود الجنة والنار وأهلهما ومن أنكر ذلك يكفر لإنكار ما علم من الدين بالضرورة (٥) .

دوام الجنة النار

رأى الأشاعرة

يرى جمهور الأشاعرة : أن الجنة والنار دائمتان لا يفنيان ونعيم كل منهما دائم .

---

(١) سورة النجم الآية ١٤ ـ ١٥ .

(٢) شرح المقاصد ص ١١١ .

(٣) شرح المقاصد ح ٥ ص ١١ .

(٤) شرح الجوهرة رقم ٢٢٠ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٠ ط المكتب الإسلامى - بيروت سنه ١٤٠٤هـ .

يقول الدكتور / محيى الدين : الجنة والنار باقيتان لا تفنيان ولا يفنى أهلها فقد أجمع المسلمون على خلود أهل الجنة فى الجنة وخلود أهل النار فى النار لقوله تعالى فى الفريقين ﴿ خالدين فيها أبدا ﴾ (١) .

فالجنة دار خلود للسعيد وهو من مات على الإسلام وإن تقدم منه كفر ودخل فى السعيد عصاه المؤمنين فدار خلودهم الجنة فلا يخلدون فى النار إن دخلوها (٢) .

والنار دار خلود الشقى وهو من مات على الكفر وإن عاش طول عمره على الإيمان ودخل فى الشقى الكافر الجاهل والمعاند

قال تعالى ﴿ يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقى وسعيد . فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ .

فالمراد بالسموات والأرض فى هذه الآية سقف النار وأرضها وسقف الجنة وأرضها لا سماء الدنيا وأرضها لتبدلهما .

والتعبير بقوله تعالى ﴿ خالدين فيها ﴾ يدل دلالة قاطعة على تأبيد دوام الجنة والنار (٣) .

ومعنى قوله (عطاءا غير مجذوذ) أى غير مقطوع لئلا يتوهم متوهم بعد

(١) النبوات والسمعيات د /محى الدين الصافى ص ١١١ .
(٢) شرح الجوهرة للباجورى ص ٢٢١ والآيات من سورة هود الآية ١٠٥ ـ ١٠٨ .
(٣) تفسير الإمام البيضاوى ص ٤٠٠ ط الحلبى وشركوه سنه ١٩٣٩م .

ذكره المشيئة أن ثم انقطاع أو ليس أو شئ بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع (١) .

يقول صاحب الظلال نحو هذه الآية وتعبيرها : هو تعبير يلقى فى الذهن صفة الدوام والاستمرار (٢) .

ويقول الإمام الرازى : إن هذا الدوام أمر ممكن ، وإذا كان الدوام ممكنا وقد أخبر عنه الصادق وجب الإقرار به (٣) .

ويقول البغدادى ، أجمع أهل السنة وكل من سلف من أخبار الأمة على دوام بقاء الجنة والنار وعلى بوام نعيم أهل الجنة ودوام عذاب الكفرة فى النار (٤) .

وقد دلت النصوص القرآنية على ذلك دلالة واضحة كما أشرنا وأيضا قوله تعالى فى حق أهل الجنة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ (٥) .

وقول الله تعالى فى حق أهل النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ (٦) .

ودلت السنة النبوية على دوامهما أيضا ، فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : يدخل الله أهل الجنة وأهل النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو) (٧)

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ح ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) فى ظلال القرآن - الاستاذ سيد قطب ح ٤ ص ٦٢٧ .

(٣) معالم أصول الدين ص ٢١ للإمام الرازى .

(٤) أصول الدين للبغدادى ص ٢٣٨ .

(٥) سورة الكهف الآية ١٠٧ - ١٠٨ .

(٦) سورة الأحزاب الآية ٦٤ - ٦٥ .

(٧) الحديث فى صحيح البخارى ومسلم واللفظ للإمام مسلم - راجع صحيح البخارى كتاب الرفاق ح ١١ ص ٤١٤ .

وأيضا قوله ﷺ (يوتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناديا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون - أى يمدون أعناقهم ينظرون - فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ قول الله تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١) ﴾ (٢)

رأى المعتزلة

ذهب بعض المعتزلة إلى سكون أهل الجنة والنار حيث يرون استحالة وجود حوادث لا نهاية لها فى الماضى والمستقبل وهذا القول يترتب عليه فناء الخالدين (٣) .

يقول الإمام البغدادى والإمام الشهرستانى زعم أبو الهذيل أن أهل الجنة والنار ينتهون إلى حال يبقون فيها خمودا ساكنين سكونا دائما لا يقدر الله حينئذ على شئ من الأفعال ولا يملك لهم حينئذ ضرا ولا نفعا (٤) .

ولا شك أن قوله هذا يخالف نصوص القرآن الصريحة والدالة على خلود الجنة والنار وعدم فناءهما فهو قول باطل .

يقول الدكتور النشار مصورا مذهبهم ، لا يكون الله تعالى بعد فناء مقدوراته قادر على شئ وحينئذ يبقى أهل الجنة وأهل النار خامدين لا يقدرون على شئ ولا يقدر الله تعالى فى تلك الحالة على إحياء ميت ولا على

---

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحة عن أبى سعد الخدرى - كتاب التفسير ج ٨ ص ٢٨٢ .

(٢) سورة مريم الآية ٣٩ .

(٣) مقالات الإسلامين ج ٢ ص ١٦٧ - للأشعرى .

(٤) أصول الدين للبغدادى ص ٢٣٨ - وراجع الملل والنحل ج ١ ص ٤٥ للشهرستانى

إماتة حى ولا على تحريك ساكن ولا تسكين متحرك ولا إحداث شئ ولا على فناء شئ (١) .

وهكذا ذهب بعض المعتزلة إلى هذا القول الباطل لكن كيف تصل إليهم اللذات والآلام حال كونهم لا يتحركون بل ساكنون خامدون .

يجيب الدكتور النشار معبر عنهم ، أكل أهل الجنة وشربهم وتزاورهم وجميع لذاتهم باقية متجمعة فيهم لا تفنى ولا تنقضى ولا تزول ولا تبيد .

ولا شك أن هذا القول من أبى الهذيل العلاف واضح البطلان ويكفى فى بطلانه مخالفته للكتاب والسنة .

ولو نظرنا إلى هذا القول بدقة لوجدناه هو بعينه ما ذهب إليه الجهمية ، فلقد ذهبت إلى القول بفناء الجنة والنار وفناء أهلهما وكلاهما رد عليهم الإمام التفتازانى فقال :

هو قول باطل مخالف للكتاب والسنة ليس عليه شبهة فضلا عن حجة (٢) .

وهذا هو ما أكده علماء المسلمين :

يقول القرطبى ، الآيات والأحاديث نص فى خلود أهل النار فيها لا إلى غاية ولا إلى أحد ، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة (٣) .

ويقول الشعرانى : فمن قال إن أهل الجنة يخرجون منها تبقى خالية

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ٤٦٢ - وراجع كتاب الانتصار للخياط ص ٦ ط المطبعة الكاثوليكية - بيروت سنه ١٩٥٧م .

(٢) شرح العقائد ـ التفتازانى ص ١١٨ وراجع النبوات والسمعيات د / محى الدين ص ١١١

(٣) التذكرة فى أصول الموتى وأمور الآخرة ج ٢ ص ١٥٠ .

بحملتها خاوية على عروشها وأنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى المنقول ومخالف لما جاء به الرسول ولما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول (١) .

ويقول الايجى : فى قوله ﴿ أكلها دائم ﴾ أى كلما فنى منه شئ جئ ببدله فإن دوام أكل بعينه متصور لأنه إذا أكل فقد فنى (٢) .

وبهذه الأقوال للسادة العلماء أكون قد انتهيت من هذا المبحث وادعوا الله أن يجعلنا من العاملين بكتابه وبسنة رسوله الأعظم ﷺ والحمد لله أولا وآخرًا .

---

(١) مختصر التذكرة للإمام عبد الوهاب الشعرانى ص ٩٢ .
(٢) المواقف ـ الموقف السادس ص ٢٣٢ .

أهم المصادر والمراجع

١ . القرآن الكريم .

٢ . القرآن وقضايا الإنسان د / عائشة عبد الرحمن ط دار العلم للملايين بيروت ط ١ .

٣ . المفردات للراغب الأصفهاني .

٤ . شرح العقائد النسقية ـ للتفتازاني ط دار إحياء الكتب العربية

٥ . العقائد الإسلامية ـ السيد السابق ط دار النصر للطباعة .

٦ . الرد على الدهريين ـ جمال الدين الأفغاني ـ ط مكتبة الخانجي ط ٢ ١٩٥٥م .

٧ . تفسير المنار للأستاذ محمد رشيد رضا .

٨ . مفاتيح الغيب للإمام الرازي ط دار الفكر .

٩ . تفسير أبو السعود طبع ونشر مكتبة الرياض الحديثة

١٠ . رسائل أنلندي الفلسفية ـ تحقيق د / محمد عبد الهادي أبو ريدة ط دار الفكر العربي .

١١ . موافقة صحيح المنقول لابن تميمة ط مطبعة السنة المحمدية

١٢ . التصوير الفني للقرآن الكريم أ / سيد قطب ط دار الشعب

١٣ . شرح الواقف للإمام الإيجي ط المطبعة العامرة ١٣١١ هـ .

١٤ . الأربعين في أصول الدين للإمام الرازي ط مكتبة الكليات الأزهرية

١٥ . شرح المقاصد ـ للإمام التفتازاني ط بيروت .

١٦ . رسالة أضحوية في أمر المعاد لابن سينا ط دار الفكر العربي ط ١١ ١٣٣٦هـ .

١٧ . الإنسان كما يصوره القرآن للمرحوم أ . د / صلاح عبد العليم .

١٨ قضايا عقدية د / محمد الأنور عيسى

١٩ . تاريخ الفلسفة الحديثة - يوسف كرم ط دار المعارف .

٢٠ . معارج القدس للغزالى ط مكتبة الجندى .

٢١ مقالات الإسلاميين - للإمام الأشعرى ط مكتبة النهضة المصرية .

٢٢ تهافت الفلاسفة - للغوالى ط دار المعارف .

٢٣ الشفاء لابن سينا ط وزارة الثقافة .

٢٤ الفرق بين الفرق للبغدادى ط دار الآفاق بيروت ط ١٩٧٣م .

٢٥ محصل أفكار المتقدمينوالمتأخرين للرازى ط الحسينية بمصر ١٣٢٣هـ .

٢٦ الإشارات و التنبيهات لابن سينا ط دار المعارف .

٢٧ تهافت التهافت لابن رشد ط دار المعارف .

٢٨ الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ط مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٩ نظرات فى العقيدة الإسلامية د / محمد الأنور عيسى . ط بدون طبع .

٣٠ . بين الفلاسفة والكلاميين للإمام محمد عبده ط دار المعارف .

٣١ النبوات والسمعيات د / محى الدين الصافى ط دار الطباعة المحمدية .

٣٢ شرح السنوسية الكبرى للإمام السنوسى ط دار القلم - الكويت .

٣٣ . قوانين الفكر بين الاعتقاد والإنكار للمرحوم أ . د / سعد الدين صالح ط المكتب العلمى الحديث للطباعة بالزقازيق ط ١ ١٩٩٥م .

٣٤ . غاية المرام للآمدى ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط ١٩٩٧م.

٣٥ . الفصل لابن حزم ط المطبعة الأدبية بمصر ١٩١٧م .

٣٦ . علم التوحيد فى ضوء العقل والنقل د / مبارك حسن ط مطبعة الأمانة .

٣٧ . القاموس المحيط ـ الفيروز بادى ط مؤسسة الرسالة .

٣٨ . التذكرة فى أمور الموت وأحوال الآخرة للقرطبى ط دار الحديث

٣٩ . روح المعانى للآلوسى طدار إحياء التراث العربى .

٤٠ . صحيح مسلم ط دار الكتب العلمية ببيروت بشرح النووى .

٤١ . صحيح البخارى ط

٤٢ . الدر المنثور للسيوطى ط دار الفكر .

٤٣ . صحيح الترمذى ط دار الكتب العلمية .

٤٤ . شرح الجوهرة للباجورى ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٤٥ . طوالع الأنوار للبيضاوى ط المطبعة الخيرية .

٤٦ . نهاية الأقدام للشهر ستانى .

٤٧ . شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للأصفهانى ط مطبعة الخيرية .

٤٨ . الإرشاد للإمام للجوينى .

٤٩ . شرح العقيدة الطحاوية ط المكتب الإسلامى ـ بيروت ط ١٤٠٤هـ

٥٠ . تفسير البيضاوى ط الحلبى ط ١٩٣٩م .

٥١ . فى ظلال القرآن ـ أ / سيد قطب ط دار الشروق .

٥٢ . معالم أصول الدين ـ للإمام الرازى ط مكتبة الكليات الأزهرية

٣: أصول الدين للإمام البغدادى .

٤: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - د / على سامى النشار ط دار المعارف .

٥: الإنتصار للخياط ط المطبعة الكاثوليكية بيروت ط ١٩٥٧م .

٦: مختصر التذكرة للأستاذ / عبد الوهاب الشعرانى .

فهرس الموضوعات